الغيرة على الحق بين الإفراط والتفريط
ودور الدعاة في ترشيدها

إعداد

د / رزق عيد إسماعيل علي

المدرس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة – جامعة الأزهر – مصر

من ٩٧٣إلى ١٠٣٨

Jealousy For The Truth Between Excess And Negligence And The Role Of Preachers In Rationalizing It

Dr. Rizk Eid Ismail Ali
Department Of Da'wah And Islamic Culture - Faculty Of Fundamentals Of Religion And Da'wah In Mansoura - Al-Azhar University – Egypt

الغيرة على الحق بين الإفراط والتفريط ودور الدعاة في ترشيدها

رزق عيد إسماعيل علي
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية – بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة – جامعة الأزهر – مصر
البريد الالكتروني : RizkEid.2121@azhar.edu.eg

ملخص البحث :
تسعى هذه الدراسة للكشف والبحث عن مفهوم الغيرة على الحق، وفضلها وأقسامها .
فتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، المبحث الأول : فضل الغيرة على الحق وأقسامها، والمبحث الثاني : الغيرة على الحق بين الإفراط والتفريط، والمبحث الثالث : دور الدعاة في ترشيدها، وخاتمة: فيها أهم ما توصل إليه هذا البحث من نتائج، وبعض المقترحات، وأهم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات .
وقد اقتضت طبيعة الدراسة استخدام المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج التاريخي أو الاستردادي، والمنهج الاستقرائي، مع الاستعانة ببعض المناهج الأخرى .
وتوصلت الدراسة إلى فضل وأهمية الغيرة في الإسلام، وأنها لا تحمي الفرد وحده، بل تتعداه لتشمل المجتمع بأسره؛ فتذود عن حياضه وقضاياه، وأن الغيرة المحمودة ما كان باعثها ومستندها أدلة واضحة وبراهين قاطعة، وليست ظنون ولا شكوك ولا أوهام تخالف الحقيقة، وأن أصحاب الحماسة والغيرة غير المنضبطة يشوهون صورة الإسلام والمسلمين، كما أن الغيرة الشديدة والعاطفة الجياشة دون فهم عميق راسخ للواقع ومستجدات الأحداث ومآلات الأمور، قد أحدثت مفاسد وفوتت مصالح كثيرة .
وخلصت الدراسة إلى ضرورة قيام الدعاة والوعاظ بدورهم في إرشاد ونصح هؤلاء الغيوريين على دينهم والمتحمسين لقضايا أمتهم، أن لا يسلكوا طريق العنف والطيش والعجلة حتى لا يضروا بدينهم وبلادهم .

الكلمات المفتاحية : الغيرة ؛ الحق ؛ الإفراط ؛ التفريط ؛ الدعاة ؛ الترشيد .

Jealousy For The Truth Between Excess And Negligence And The Role Of Preachers In Rationalizing It

Rizk Eid Ismail Ali
Department Of Da'wah And Islamic Culture , Faculty Of Fundamentals Of Religion And Da'wah In Mansoura , Al-Azhar University , Egypt.
Email: RizkEid.2121@azhar.edu.eg

Research summary:

This study seeks to reveal and research the concept of zeal for truth, its virtues and its parts.

The research consists of an introduction, a preface, and three sections. The first section: The virtue of zeal for the truth and its types. The second section: The zeal for the truth between excess and negligence. The third section: The role of preachers in rationalizing it, and a conclusion: which contains the most important findings of this research, and some suggestions. The most important sources, references, and subject index.

The nature of the study required the use of the descriptive analytical method, the historical or retrieval method, and the inductive method, with the use of some other methods.

The study concluded the virtue and importance of jealousy in Islam, and that it does not protect the individual alone, but extends beyond it to include the entire society. So it protects him from his menstruation and his issues, and that praiseworthy jealousy is not motivated and based on clear evidence and conclusive proofs, and is not suspicions, doubts, or delusions that contradict the truth. Those with uncontrolled enthusiasm and jealousy distort the image of Islam and Muslims, and intense jealousy and intense passion without a deep and firm understanding of reality, the developments of events, and the outcome of matters have caused harm and missed many interests.

The study concluded that it is necessary for preachers and preachers to play their role in guiding and advising those who are zealous about their religion and passionate about the issues of their nation, not to follow the path of violence, recklessness, and haste so as not to harm their religion and their country.

Keywords: Jealousy; Truth; Excess; Negligence; Preachers; Rationalization

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، الحمد لله الذي بفضله تتمّ الصالحات، وبتوفيقه تُزكَّى الأعمال، وَأَشْهد أَن لَا إله إِلَّا الله وَحده لَا شريك له رب الْعَالمين وإله الْأَوَّلين والآخرين وقيوم السَّمَاوَات وَالْأَرضين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، أرسله الله رحمة للعالمين، وإماماً للمتقين، وحجة على الخلائق أجمعين، تركنا على البَيضَاءِ ليلُها كَنهَارِهَا لَا يزيغُ عَنها إِلَّا هالكٌ، أما بعد ..

فإنّ للأخلاق في دين الإسلام شأن عظيم ومكانة عالية، فهي سبب لرفع الدرجات وتكفير السيئات ودخول الجنات، وأساس لبقاء الأمم والحضارات، وتزرع الأُلفة والمحبة بين الناس، وبحسن الخلق يتحول العدو إلى صديق، لذا دعا الإسلام أتباعه إلى التحلي بها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » رواه الإمام أحمد في مسنده رقم ٨٩٥٢ .

وعليه، فالعرب في جاهليتهم كانت عندهم أخلاق كريمة تشوبها شوائب، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليهذبها ويتمم هذا النقص الذي اعتراها، ومن هذه الأخلاق خلق الغيرة على الحق، إذ هي من شيم المؤمنين، وخصلة من خصال الرجولة، وهي علامة على قوة الإيمان ورسوخه في قلب العبد، والإنسان إذا تجرد عن غيرته فقد تجرد من آدميته، ولكن قد تتجاوز الغيرة حدودها الشرعية وتخرج عن إطارها المعقول، وهنا تصبح كابوساً يهدد استقرار الأسر والمجتمعات، فكان لابد من الاعتدال والاتزان فيها حتى تؤتي أكلها وتثمر أطايب ثمرتها، ومن هنا كان دور الدعاة لازماً ومهماً في ترشيدها وتوجيهها الوجهة الصحيحة، وعليه كان موضوع البحث .

" الغيرة على الحق بين الإفراط والتفريط ودور الدعاة في ترشيدها "

<u>أسباب اختيار الموضوع :</u>

من أهم الأسباب الداعية إلى اختيار هذا الموضوع ما يلي :

١ – الواقع المشاهد المرير التي آلت إليه الأمة الإسلامية من تفشي المنكرات والفواحش، لضعف معاني الغيرة أو فقدانها .

٢ – تجاوز حد الاعتدال في الغيرة عند بعض الناس مما يعود عليهم بالضرر وعلى المجتمع بالمفاسد .

٣ – سعي أعداء الإسلام وتخطيطهم إلى إماتة خلق الغيرة في نفوس المسلمين .

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى ما يلي :

١ – إبراز أهمية الغيرة على الحق في الإسلام وخطورة غيابها .

٢ – التفريق بين الغيرة المحمودة والغيرة المذمومة .

٣ – التعرف على خطورة الإفراط في الغيرة على النفس البشرية والمجتمع والدعوة الإسلامية .

٤ – إبراز دور الدعاة في ترشيد وانضباط الغيرة في الإسلام .

إشكالية البحث :

تنطلق إشكالية هذا البحث من عدة أسئلة، مفادها ما يلي :

١ – ما أهمية الغيرة على الحق في الإسلام ؟

٢– هل الغيرة كلها محمودة؟

٣ – ما تأثير الإفراط في الغيرة على الفرد والمجتمع ؟

٤ – ما مظاهر وصور التفريط في الغيرة (ضعف الغيرة) ؟

٥ – هل للدعاة دور في ترشيد وانضباط الغيرة في الإسلام ؟

الدراسات السابقة :

في حدود علمي القاصر لم أجد بحثاً أو رسالة علمية أفردت بعنوان بحثي " الغيرة على الحق بين الإفراط والتفريط ودور الدعاة في ترشيدها " مما دعاني للكتابة فيه، والغيرة على الحق – المرادف للباطل – تشمل كل حق سواء كان قولاً أم فعلاً أم اعتقاداً أم شيئاً مقدساً عند الشخص، ولذا انفردت هذه الدراسة عن بقية الأبحاث والرسائل التي تكلمت عن الغيرة الجبلية كغيرة الزوجة على زوجها، وغيرة الضرائر، ومن نماذج هذه الأبحاث والرسائل ما يلي :

١ – بحث بعنوان " غيرة الزوجة وأثرها في اختلاف الحكم الفقهي " د / خالد

بن أحمد الصُّمي بابطين، وهو بحث منشور بمجلة البحوث الفقهية المعاصرة، الصادرة عن مؤسسة البحوث والدراسات الفقهية وعلوم القرآن الكريم الوقفية – السعودية – المجلد ٢٣– العدد ٩١ ، وهذا البحث اعتنى بموضوع الغيرة من جهة الأحكام الفقهية العملية .

٢ – "الغيرة في الإسلام، " للباحثة / سمية محمد ناصر سنهوب، وهي رسالة علمية تقدمت بها الباحثة لنيل درجة الماجستير من جامعة الإيمان باليمن، عام ٢٠٠٥م، وهي رسالة غير منشورة، ولم يتيسر لي الاطلاع عليها .

٣– الغيرة الممدوحة والغيرة المذمومة بين الأزواج والضرائر والأقران في ضوء الكتاب والسنة، د / حصة أحمد عبدالله الغزال، بحث بمجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، العدد ١٦ – عام ١٩٩٨م، وقد تعرضت لغيرة الزوج على زوجته، وغيرة الزوجة على زوجها، وكذلك غيرة الضرائر والأقران، دون أن تفرد الحديث عن علاج الغيرة كما بين ذلك الإسلام؛ إلا كلاماً يسيراً في ثنايا البحث .

منهج البحث :

اعتمدت في بحثي على مناهج بحثية متعددة، ومن أهمها ما يلي :

المنهج الوصفي التحليلي[١] : وذلك بجمع المعلومات المتعلقة بموضوع البحث، ثم تحليلها لاستخلاص ما يمكن استخلاصه منها، وكذا المنهج التاريخي أو الاسترادادي،[٢]وذلك بالاستدلال بالأحداث والوقائع التاريخية

---

(١) المنهج الوصفي التحليلي هو : استقصاء ينصب على ظاهرة من الظواهر كما هي قائمة في الحاضر بقصد تشخيصها وكشف جوانبها ..، ولا يقف عند حدود وصف الظاهرة، وإنما يذهب إلى أبعد من ذلك فيحلل ويفسر ويقارن، ويقيم بقصد الوصول إلى تقييمات ذات معنى (انظر : مقدمة في منهج البحث العلمي، د / رحيم يونس كرو العزاوي صـ٩٧ ، طبعة دار دجلة ، الأردن ، ط – الأولى ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م)

(٢) وهو الذي تقوم فيه باسترداد الماضي تبعاً لما تركه من آثار، أياً كان نوع هذه الآثار وهو المنهج المستخدم في العلوم التاريخية والأخلاقية (مناهج البحث العلمي، د / عبد الرحمن بدوي صـ١٩، طبعة وكالة المطبوعات، الكويت، ط٣/١٩٧٧م) وقيل المنهج التاريخي هو : تسجيل ووصف للأحداث الماضية والوقائع وتحليلها وتفسيرها على أسس منهجية علمية دقيقة لفهم الحاضر والمستقبل (مقدمة في منهج البحث العلمي، د / رحيم يونس صـ٧٩)

لتدعيم البحث ووضع أسس علمية موضوعية لترشيد الغيرة، وكذا المنهج الاستقرائي،[١] وذلك بجمع المعلومات والبيانات المتعلقة بموضوع البحث، وتتبع جزئياتها بهدف الوصول إلى قواعد عامة وأسس كلية .

خطة البحث :

اقتضت الكتابة في هذا الموضوع أن تكون في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة :

المقدمة : وفيها بيان أسباب اختيار الموضوع، وأهداف البحث، وإشكالياته، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

التمهيد، وفيه : – التعريف بمفردات البحث .

المبحث الأول : فضل الغيرة على الحق وأقسامها .

المبحث الثاني : الغيرة على الحق بين الإفراط والتفريط .

المبحث الثالث : دور الدعاة في ترشيدها .

والخاتمة : وذكرت فيها أهم النتائج والمقترحات والتوصيات .

وختاماً : لا أزعم في هذا البحث الإحاطة والاستقصاء بل هو اجتهاد، فما أصبت فمن الله وحده، وما أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله صلى الله عليه وسلم منه بريئان .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) يتمثل هذا المنهج في السير من الخاص إلى العام، كما يشمل الاستقراء مختلف الاستنتاجات العلمية المستندة على الملاحظة أو التجريب، ويعني أيضاً حركة العقل للقيام بعمليات هدفها التوصل إلى قانون أو قاعدة كلية تحكم الفرعيات أو التفاصيل التي تم إدراكها من قبل الأفراد (منهجية البحث العلمي – القواعد والمراحل والتطبيقات، د / محمد عبيدات وآخرون، ص٤٨، ط– دار وائل للطباعة والنشر، عمان – الأردن، ط – الثانية ، ١٩٩٩م)

التمهيد :

١ – التعريف بمفردات البحث :

بادئ ذي بدء قبل الخوض في الكلام على ثنايا البحث لابد من الوقوف على مفرداته ومعانيها، ويتضح ذلك فيما يلي :

أ – تعريف الغيرة لغة واصطلاحاً :

في اللغة : الغَيرة، بالفتح، المصدر من قولك غار الرجل على أهله، والمرأة على بعلها تغار غيرةً وغيراً، وهي مأخوذة من الحميّة والأنفة، والمغيار: الشديد الغيرة، والعرب تقول: أغير من الحُمّى أي: أنّها تلازم المحموم ملازمة الغيور لبعلها. (١)

وفي الاصطلاح : كراهة الرجل اشتراك غيره فيما هو حقه(٢)، وقيل هي : ثوران الغضب حماية على أكرم الحُرَم وأكثر ما تراعى في النساء(٣) ، وقيل الغيرة معناها : تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين. (٤)

وعليه، يمكن القول إن الغيرة هي : شعور فطري يبعث على كراهة المرء اشتراك غيره معه فيما هو حقه واختصاصه .

ب – تعريف الحق لغة واصطلاحاً :

في اللغة : جاء في كتاب لسان العرب (الحق : نقيض الباطل، وجمعه حقوق وحقاق، وحق الأمر يحق حقاً وحقوقاً : صار حقاً وثابتاً، وحق الأمر يحقه حقاً وأحقه: كان منه على يقين، وحقه وحققه: صدقه)(٥) وقيل : هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره .(٦)

---

(١) لسان العرب، لابن منظور حرف الراء– فصل الفاء ٥/ ٤١ – ٤٢، ط– دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤١٤هـ .

(٢) الكليات، الكفوي ص٦٧١، ط– مؤسسة الرسالة – بيروت، بدون .

(٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة، للأصفهاني ص٢٤٤ ، ط – دار السلام، القاهرة، ط– ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني ٩ / ٣٢٠، ط – دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، بدون .

(٥) حرف القاف – فصل الحاء ، ١٠ / ٤٩

(٦) كتاب التعريفات، للجرجاني ص٨٩ ، ط– دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م .

وعليه، فكلمة الحق في اللغة تطلق على معانٍ كثيرة : منها الوجوب والثابت واللازم والصدق واليقين .

تعريف الحق في الاصطلاح : اختصاص يقرر به الشرع سلطةً أو تكليفاً [١] ،وقيل الحق معناه : الحكم المطابق للواقع، يطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب، باعتبار اشتمالها على ذلك، ويقابله الباطل .[٢]

والفرق بين الصدق والحق : أن المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع، وفي الصدق من جانب الحكم، فمعنى صدق الحكم مطابقته للواقع، ومعنى حقيقته مطابقة الواقع إياه[٣].

ج- تعريف الإفراط :

لغة : فرط : الفاء والراء والطاء أصل صحيح يدل على إزالة شيء من مكانه وتنحيته عنه، فهذا هو الأصل، ثم يقال أفرط، إذا تجاوز الحد في الأمر. يقولون : إياك والفرط، أي لا تجاوز القدر، وهذا هو القياس، لأنه إذا جاوز القدر فقد أزال الشيء عن جهته . [٤]

وقال صاحب لسان العرب : كل شيء جاوز قدره، فهو مفرط، يقال : طول مفرط وقصر مفرط، والإفراط : الزيادة على ما أمرت . [٥]

ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي .

د- تعريف التفريط : فرط في الأمر قصر فيه وضيعه حتى فات، وفرط فيه تفريطاً مثله . [٦]

ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي .

وعليه، فالفرق بين الإفراط والتفريط: أن الإفراط يستعمل في تجاوز الحد من جانب الزيادة والكمال، والتفريط يستعمل في تجاوز الحد من جانب النقصان والتقصير.[١]

---

(١) المدخل إلى نظرية الالتزام في الفقه الإسلامي، مصطفى أحمد الزرقا ص١٩، ط – دار القلم، دمشق – ط ١ ، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٢) كتاب التعريفات، للجرجاني ص٨٩

(٣) المرجع السابق ص٨٩

(٤) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ٤ / ٤٩٠، ط- دار الفكر، ط عام ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، بدون .

(٥) لسان العرب ٧/ ٣٦٩

(٦) مختار الصحاح، للرازي ص٢٣٧، ط – المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

هـ – تعريف الدعاة لغة واصطلاحاً :

كلمة الدعاة في اللغة : مفردها داعية، والداعية اسم فاعل من دعا يدعو، والدعاة " قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة"[٢]

وعليه، فالداعية في اللغة : اسم لمن يقوم بأمر الدعوة، أيّا كان نوعها سواءً كانت إلى خير أم إلى شر .

واصطلاحاً : المبلِّغُ للإسلام، والمعلِّمُ له، والساعي إلى تطبيقه، فيشمل مصطلح الداعي من قام بأعمال الدعوة كلها، أو بعمل من أعمالها. [٣]

و – تعريف كلمة الترشيد :

مصدر " رشَّدَ يُرشِّد، ترشيدًا، فهو مُرشِّد، والمفعول مُرشَّد، يقال : رشَّد الإنفاقَ : اقتصد، لم يُسْرِف فيه، ومنه ترشيد الإنفاق/ ترشيد الاستهلاك: توعية الجمهور بالاقتصاد في الإنفاق أو الاستهلاك.

ويقال : رشَّد فلانًا إلى طريق الصَّواب/ رشَّد فلانًا على طريق الصَّواب/ رشَّد فلانًا لطريق الصَّواب: أي : أرشَده؛ وجَّهه إليه ودلَّه عليه " .[٤]

وعليه، فمعنى الترشيد : التوعية والتوجيه إلى الأخذ بالصواب والأصح في أمر أو سلوك ما لتحقيق أفضل النتائج المرجوة .

وعلى ذلك أقول : إن مقصدي بعنوان البحث : الحميّة والأنفة على الثابت الذي لا يسوغ إنكاره، وذلك بين متجاوز للحد في الزيادة وبين آخر متجاوز للحد من جانب النقصان والتقصير، ومهمة القائم بالدعوة والمبلغ لها في توعية وتوجيه الناس إلى الأخذ بالسلوك الأمثل لتحقيق التوازن والمصلحة .

---

(١) كتاب التعريفات، للجرجاني ص٣٢

(٢) لسان العرب، لابن منظور، حرف الواو والياء– فصل الدال المهملة ١٤ / ٢٥٩

(٣) المدخل إلى علم الدعوة، للبيانوني ص٤٠ ط– مؤسسة الرسالة، بيروت، ط– الثالثة ،٢٠١٤م .

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، د / أحمد مختار عبد الحميد وآخرون ٢ / ٨٩٤ ، ط– عالم الكتب، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .

المبحث الأول
فضل الغيرة على الحق وأقسامها

أولاً : فضل الغيرة على الحق

الغيرة غريزة فطرية جُبل عليها الإنسان السوي، ومظهر من مظاهر الرجولة الحقيقية، ولذا " كان العرب أغير من غيرهم، لأنهم أشد الناس حاجةً إلى حفظ الأنساب، ولذلك اعتنوا بضبطها غاية الاعتناء، ...ومن نخوة العرب وغيرتهم أنهم يكنون عن حرائر النساء بالبيض، وقد جاء القرآن الكريم بذلك، فقال سبحانه: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[١]وقال امرؤ القيس [٢]:

وبيضة خدرٍ لا يرام خباؤها تمتّعت عن لهوٍ بها غير معجل

ويكنون عنها بالنخلة، ومن نخوة العرب وغيرتهم أيضاً أنه كان من عادتهم إذا وردوا المياه أن يتقدم الرجال، والرعاء، ثم النساء إذا صدرت كل الفرق المتقدمة، حيث يغسلن أنفسهن وثيابهن ويتطهرن آمنات ممن يزعجهن، فمن تأخر عن الماء حتى تصدر النساء فهو الغاية في الذل . "[٣]

ولم تكن غيرة العربي الأصيل قاصرة على عرضه فحسب، بل إنه كان يغار على عرض قرابته وقبيلته وجيرانه، يقول عنترة [٤]:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مثواها [٥]

---

(١) سورة الصافات الآية رقم ٤٩

(٢) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار: أشهر شعراء العرب على الإطلاق، وذكر بعض الرواة، أنه كان مليح الوجه، حسن الأخلاق، غير أنه كان مبغضاً الى النساء. « بغية الطلب في تاريخ حلب، لكمال الدين ابن العديم ٤ / ١٩٩١ ، ط- دار الفكر، بيروت، بدون »

(٣) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، للآلوسي ١ / ١٤٠ – ١٤٣ ط- دار الكتاب المصري، ط٢ ، بدون .

(٤) هو عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسيّ: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، وله لقب يقال له عنترة الفلحاء، وذلك لتشقق شفتيه، وأمه أمة حبشية، يقال لها زبيبة « الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني ٨/ ٢٤٤ ، ط- دار الفكر – بيروت، الطبعة الثانية، بدون »

(٥) العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي ٦ / ٣ ط- دار الكتب العلمية – بيروت، ط١،

وقد حظيت الغيرة في الإسلام بمكانة كبيرة وفضل عظيم، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه »(١)

وجاء في حديث سعد بن عبادة – رضي الله عنه – أنه قال : لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « أتعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ... »(٢)

" ومعنى غيرة الله تعالى الزجر عن الفواحش والتحريم لها والمنع منها، لأن الغيور هو الذي يزجر عما يغار عليه، وقد بين ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : ومن غيرته حرم الفواحش، أي : زجر عنها ومنع منها "(٣)

وعن أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا أمة محمد، ما أحد أغير من الله أن يرى عبده أو أمته تزني، يا أمة محمد، لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً »(٤)

" وفي ذكر هذا الذنب بخصوصه في خطبة الكسوف سر بديع، قد نبهنا عليه في باب غض البصر، وأنه يورث نوراً في القلب، ولهذا جمع الله سبحانه وتعالى بين الأمر به وبين ذكر آية النور، فجمع الله سبحانه بين نور القلب بغض البصر وبين نوره الذي مثله بالمشكاة لتعلق أحدهما بالآخر، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم بين ظلمة القلب بالزنا وبين ظلمة الوجود بكسوف الشمس وذكر أحدهما مع الآخر "(٥)

وإذا كان الله عز وجل متصف بها، ويُحبها من عباده، فأكرم بها من خلق كريم، وسياج منيع تحمي المحارم والشرف والأعراض، ولذا قيل: في الحكمة

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه رقم ٢٧٦١ – كتاب التوبة – باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش ٤ / ٢١١٤ ، ط– دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم ٧٤١٦ – كتاب التوحيد – باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: « لا شخص أغير من الله » وقال عبيد الله بن عمرو، عن عبد الملك: « لا شخص أغير من الله » ٩ / ١٢٣ ،ط– دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني ٢٠/ ٢٠٥ ، ط– دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون .

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم ٥٢٢١ – كتاب النكاح – باب الغيرة، ٧ / ٣٥

(٥) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن قيم الجوزية ص٢٩٥، ط– دار الكتب العلمية، بيروت، بيروت، لبنان، ط– ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

من خلق الله تعالى لخلق الغيرة " وإنما خلقت الغيرة لحفظ الأنساب، ولو تسامح الناس بذلك؛ لاختلطت الأنساب، ولذلك قيل : كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها، ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات "[١]

ومن فضلها أنها توصل إلى أعلى الدرجات، وقد يصل بسببها الإنسان إلى مرتبة الشهداء، فعن سعيد بن زيد – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد »[٢]

وبهذا، جُعلت الغيرة سبباً لصيانة الأعراض والأنساب فهي دليل على حياة القلب وقوة إيمانه، ولذا قال ابن قيم الجوزية – رحمه الله تعالى – " أصل الدين الغيرة، ومن لا غيرة له لا دين له، فالغيرة تحمي القلب فتحمي له الجوارح، فتدفع السوء والفواحش، وعدم الغيرة تميت القلب، فتموت له الجوارح؛ فلا يبقى عندها دفع البتة، ومثل الغيرة في القلب مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومه، فإذا ذهبت القوة وجد الداء المحل قابلاً، ولم يجد دافعاً، فتمكن، فكان الهلاك، ومثلها مثل صياصي الجاموس التي تدفع بها عن نفسه وولده، فإذا تكسرت طمع فيها عدوه. "[٣]

فالغيرة سياج منيع يحمي من تدنيس الأعراض وانتهاك الحرمات، وذلك من كل غادر لئيم لا يراعي للمحارم حرمة ولا للشرف مكانة، ومن كانت هذه صفته فهو إنسان ناقص المروءة ظالم لنفسه ولغيره، ولذا يقول ابن حزم–[٤] رحمه

---

(١) إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي ٣ / ١٦٨ ط – دار المعرفة – بيروت ط – ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، بدون .

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه رقم ١٤٢١ ، ٤ / ٣٠ وقال : هذا حديث حسن صحيح، ط– شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م .

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء ص ٦٨ ط– دار المعرفة – المغرب، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

(٤) ابن حزم (٣٨٤ – ٤٥٦هـ) : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي، صاحب التصانيف الكثيرة، ومن أشهرها : الفصل في الملل والأهواء والنحل، والمحلى، انظر « سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٨ / ١٨٤ – ٢١٢ ط– مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م » .

الله تعالى – " الغيرة خلق فاضل متركب من النجدة والعدل، لأن من عدل كره أن يتعدى إلى حرمة غيره، وأن يتعدى غيره إلى حرمته، ومن كانت النجدة طبعاً له حدثت فيه عزة، ومن العزة تحدث الأنفة من الاهتضام . " (١)

نعم الإنسان الغيور عنده عزة نفس، وشجاعة قلب، ورباطة جأش، وعلو همة، لا يرضى بالضيم ولا بالاعتداء على عرضه وشرفه، ذلك أنّه يحمل قلباً مُتّقداً بنور الإيمان، ولذا كانت الغيرة هي " حرارة القلب وناره التي تخرج ما فيه من الخبث والصفات المذمومة، كما يخرج الكير خبث الذهب والفضة والحديد، وأشرف الناس وأعلاهم همة أشدهم غيرة على نفسه وخاصته وعموم الناس، ولهذا كان النبي – صلى الله عليه وسلم – أغير الخلق على الأمة، والله تعالى أشد غيرة منه. "(٢)

ومن فضل وأهمية الغيرة في الإسلام أنها لا تحمي الفرد وحده، بل تتعداه لتشمل المجتمع بأسره؛ فتذود عن حياضه وقضاياه، فهي " تبعث الرجل على الجهاد في الحق بأي وسيلة استطاعها، فالرئيس الغيور يذود عن الحق بما في يده من قوة، متى كان الهاجم عليه في غشاوة تمنعه من أن يفقه الحجة، والعالم الغيور لا يفتأ يذبُّ عن الحقِّ بلسانه أو قلمه، ولا يسوقه طمع أو رهبة إلى الخمول أو الصمت، وما خمول العالم وصمته سوى قلة الثقة بما وعد الله به أنصار الحقِّ من فوز وحياة طيبة، والموسر الغيور ينفق في سبيل الإصلاح باليمين واليسار؛ ومن كان صافي البصيرة يرتاح لظهور الحقِّ، وقيام المصلحة العامة، أكثر مما يرتاح لأن يكنز ذهباً، أو تكون له قصور فيحاء وحدائق غناء. " (٣)

فالغيرة تحرك الشعور والوجدان إلى مناصرة الحق ومؤازرته والدفاع عنه، مهما تكلف المرء من ثمن ووقت وجهد، وتدفع إلى حفظ الدين والذب عنه، وتحمي الأعراض والحُرمات وتقف في وجه انتشار الرذائل والمحرمات، فهي

---

(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، لابن حزم الأندلسي ص ٥٥، ط – دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء ص٦٦ .

(٣) الغيرة على الحقائق والمصالح، للشيخ / محمد الخضر حسين، مجلة نور الإسلام الصادرة عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف – المجلد الأول – العدد السابع – رجب سنة ١٣٤٩هـ – ص ٤٨٣ .

تحمي الإنسان من نفسه الأمارة بالسوء، وتزجر الغير من الاعتداء على الحق وسلوك طريق الغواية .

وعليه، فالغيرة خلق كريم أعلى الإسلام من شأنه، ورفع من قدره، وأحاطه بسياج منيع يذود عن المحارم والأعراض والشرف والحقوق من كل معتدٍ باغٍ، فما ضيعت الحقوق والمصالح إلا يوم أن أسندت إلى فاقدي الغيرة عليها .

ثانياً : أقسام الغيرة

مما لا شك فيه أن الغيرة ليست محمودة مشروعة على عمومها، وأيضاً ليست كلها مذمومة غير مشروعة، وإنما منها الممدوح ومنها المذموم .

الغيرة قسمان :

القسم الأول : غيرة محمودة حسنة، والقسم الثاني : غيرة مذمومة سيئة

أمّا القسم الأول : غيرة محمودة حسنة :

وهي أن يكون لها مبرِّر، كوجود ريبة، وهذه يُحبها الله ورسوله " وهي ما وافقت غيرة الله تعالى، وهذه الغيرة هي أن تنتهك محارم الله، وهي أن تؤتى الفواحش الباطنة والظاهرة ."[١]

إنّ غيرة العبد تُحمد إذا ما انتُهكت المحارم، وتُعدّيت حدود الله عز وجل، وعُصي رب العالمين، عند ذلك يغضب المسلم ويتمعر وجهه ولا يرضى بما يراه من منكرات وفواحش، ولهذا كان نبينا (ﷺ) لا يغضب إلا إذا انتُهكت محارم الله تعالى، فعن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ، أنها قالت: « ما خير رسول الله (ﷺ) بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها »[٢]

وعنها أيضاً –رضي الله عنها –، قالت : دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم وفي البيت قرام[٣] فيه صور، فتلون وجهه ثم تناول الستر فهتكه،

---

(١) الاستقامة، لابن تيمية ٢ / ٧ ط– جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم ٣٥٦٠ – كتاب المناقب – باب صفة النبي ﷺ ٤ / ١٨٩ .

(٣) قِرام بكسر القاف وتخفيف الراء: ستر رقيق من صوف ذو ألوان (فتح الباري شرح صحيح البخاري ١ / ٤٨٤)

وقالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « إنّ من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور »[١]

وكان (ﷺ) يغار على نسائه، فعن أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها – : أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها رجل، فكأنه تغير وجهه، كأنه كره ذلك، فقالت : إنه أخي، فقال : « انظرن من إخوانكن، فإنما الرضاعة من المجاعة »[٢]

بل كان (ﷺ) أشد غضباً حينما يشفع أحد في حد من حدود الله تعالى، ولهذا ثبت عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها –، أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فكلمه أسامة، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها "[٣]

والغيرة المحمودة لا تقتصر على حماية الأعراض، بل تشمل الغيرة على حقوق الله تعالى وانتهاك حدوده وحقوق النفس والآخرين .

ولهذا غضب الصديق – رضي الله عنه – لما ارتد المرتدون ومنعوا الزكاة المفروضة، فقال قولته المشهورة غيرة لدين الله عز وجل " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة، والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه"[٤]

وهكذا كانت غيرته – رضي الله عنه– سبباً لدفع الشر وقمع المفسدين والخارجين عن الدين، ونجد أيضاً غيرة سيدنا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعن أبي سعيد الخدري – رضي

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم ٦١٠٩ – كتاب الأدب – باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله ٨/٢٧

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم ٥١٠٢ – كتاب النكاح – باب من قال : لا رضاع بعد حولين ٧ / ١٠

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم ٣٤٧٥ – كتاب أحاديث الأنبياء – باب حديث الغار ٤/ ١٧٥ .

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه رقم ٢٠ – كتاب الإيمان – باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ١ / ٥١

الله عنه- ، قال: بينما نحن عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وهو يقسم قسماً، أتاه ذو الخويصرة،- وهو رجل من بني تميم- ، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال: « ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل»، فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال :« دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ... "[١]

وعليه، فالغيرة المحمودة ما كان باعثها ومستندها أدلة واضحة وبراهين قاطعة، وليست ظنون ولا شكوك ولا أوهام تخالف الحقيقة .

القسم الثاني : غيرة مذمومة سيئة :

وهي ما قامت على سوء الظن والشك بالآخرين، ولم تستند على أدلة وقرائن تدل عليها، وهذه يكرهها الله ﷻ ، قال ابن قيم الجوزية – رحمه الله تعالى – " وغيرة العبد على محبوبه نوعان : غيرة ممدوحة يحبها الله وغيرة مذمومة يكرهها الله، فالتي يحبها الله أن يغار عند قيام الريبة، والتي يكرهها أن يغار من غير ريبة بل من مجرد سوء الظن، وهذه الغيرة تفسد المحبة وتوقع العداوة بين المحب ومحبوبه، عن أبي هريرة – ﷺ – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يكره الله، فأمّا ما يحب الله؛ فالغيرة في الريبة، وأمّا ما يكره؛ فالغيرة في غير ريبة"[٢] [٣]

وعن علي بن أبي طالب- ﷺ – قال " الغيرة غيرتان: غيرة حسنة جميلة يصلح بها الرجل أهله، وغيرة تدخله النار تحمله على القتل فيقتل "[٤]

" وعن يحيى بن أبي كثير قال : قال : سليمان بن داود عليهما السلام لابنه: يا بني لا تكثر الغيرة على أهلك، فترمي بالشر من أجلك، وإن كانت بريئة "[٥]

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم ٣٦١٠ – كتاب المناقب – باب علامات النبوة في الإسلام ٤ / ٢٠٠

(٢) أخرجه ابن ماجه في السنن رقم ١٩٩٦ – ٣ / ١٦٣ ط- دار الرسالة ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، وقال محققه الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرون إسناده صحيح .

(٣) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن قيم الجوزية ص ٢٩٦، ط- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط- ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، بدون .

(٤) رواه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ٢ / ٢٢٧ ط – دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، وقال : إسناده صحيح .

(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان رقم ٨٠٥ – ٢ / ٢٤٨ ط- مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

فالغيرة المذمومة المصحوبة بإساءة الظن وتقصي العيوب تؤدي إلى نتائج لا تحمد عقباها لاسيما إذا كانت بين الزوجين، ولذا قيل : " ولا تكثر الإنكار عليها – الزوجة – فإنك تقوي العين عليها فإن فعلت ترم زوجتك بسبب كثرة إنكارك عليها بتهمة في نفسها، فيقول الفساق وأهل الفجور لولا أنه يعلم منها المكروه لما أكثر من إنكاره عليها. "(١)

وعليه، فالغيرة الزائدة عن حدها بين الزوجين تنتج الشك وسوء الظن بينهما، وهذا الداء العضال يقضي على روح الألفة والمودة، وتتولَّد الشحناء والبغضاء، ويسود الشقاق والخلاف وتفقد الثقة بين الزوجين، وتصبح الأسرة في جحيم وشقاء لا يطاق، وهذا من أعظم عوامل تدمير الأسرة .

" تقول احدى النساء، كانت لي صديقة كثيرة الشكوك، شديدة الغيرة، فإذا خرج زوجها، أو ضرب موعداً، أو تكلم في الهاتف، أو حرر رسالة، أو أطرق مفكراً، أو بدا منشرحاً، أو أرسل ابتسامة، أيقنت أن هناك امرأة !! "(٢)

هذا، وإن كانت هذه الغيرة المفرطة غير مقبولة شرعاً ولا عقلاً، فلا ننكر طبيعة الغيرة التي جبلت عليها النساء، ومن ذلك غيرة السيدة سارة زوج نبي الله إبراهيم –عليه الصلاة السلام– من هاجر وولدها إسماعيل – عليه الصلاة والسلام –، " فإنها كانت جارية، فلما ولدت إسماعيل وأحبه أبوه اشتدت غيرة " سارة " فأمر الله سبحانه أن يبعد عنها " هاجر " وابنها ويسكنها في أرض مكة لتبرد عن " سارة " حرارة الغيرة، وهذا من رحمته تعالى ورأفته "(٣)

وأيضاً غيرة أم المؤمنين عائشة من السيدة خديجة –رضي الله عنهما – فعن عائشة – رضي الله عنها – ، قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي – صلى الله عليه وسلم– ، ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي – صلى الله عليه وسلم– يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم

---

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، شمس الدين السفاريني ٢ / ٣٩٩ – ٤٠٠ ، ط – مؤسسة قرطبة – مصر، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

(٢) تُحفة العروس أو الزواج الإسلامي السعيد، محمود مهدي الاستانبولي ص٢٩٥، ط– المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤ – ١٩٨١م .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية ١ / ٧٤ ، مؤسسة الرسالة، بيروت – الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م .

يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول « إنها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد »[١]

وأيضاً غيرتها على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فقد ورد عنها –رضي الله عنها– ، " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلاً، قالت: فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع، فقال: « ما لك؟ يا عائشة أغرت؟» فقلت : وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أقد جاءك شيطانك» قالت: يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال: « نعم » قلت: ومع كل إنسان؟ قال: «نعم» قلت : ومعك؟ يا رسول الله قال:« نعم ، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم »[٢]

وعن أنس – رضي الله عنه – ، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: « غارت أمكم » ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت "[٣]

وقوله : « غارت أمكم » اعتذار منه صلى الله عليه وسلم لئلا يحمل صنيعها على ما يذم؛ بل يجري على عادة الضرائر من الغيرة؛ فإنها مركبة في النفس بحيث لا يقدر على دفعها .[٤]

وعليه، فغيرة النساء أمر فطري جبلن عليه، ولم تسلم منه أيٌّ امرأة حتى فضليات الصحابيات من أمهات المؤمنين وغيرهن، ولكن ينبغي أن تكون الغيرة في حدود المعقول، وذلك بوضعها في نصابها الصحيح غير متمادية فيها .

ومن الغيرة المذمومة : الغيرة والتنافس القبيح بين أصحاب المهنة الواحدة إلا من رحم ربي، ولذا ترى " كثرة الحسد بين الأمثال والأقران....، ولذلك ترى

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم ٣٨١٨ – كتاب مناقب الأنصار – باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها ٥ / ٣٨

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه رقم ٢٨١٥ – كتاب صفة القيامة والجنة والنار – باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً ٤ / ٢١٦٨

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم ٥٢٢٥ – كتاب النكاح – باب الغيرة ٧/ ٣٦

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥ / ١٢٦

العالم يحسد العالم دون العابد، والعابد يحسد العابد دون العالم، والتاجر يحسد التاجر؛ بل الإسكاف يحسد الإسكاف ولا يحسد البزاز؛ إلا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة، ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب، والمرأة تحسد ضرتها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته.... وكذلك الشجاع يحسد الشجاع ولا يحسد العالم؛ لأن مقصده أن يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه العالم على هذا الغرض، وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع، ثم حسد الواعظ للواعظ أكثر من حسده للفقيه والطبيب؛ لأن التزاحم بينهما على مقصود واحد أخص " (١)

وهكذا، فالغيرة تكون بين أصحاب المهنة الواحدة من باب التنافس والحسد، ولكن المؤمن الصادق يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، ويعلم علم اليقين أن الأرزاق مقسمة ومكتوبة .

---

(١) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي ٣ / ١٩٤ – ١٩٥ باختصار، ط- دار المعرفة – بيروت، بدون .

المبحث الثاني

الغيرة على الحق بين الإفراط والتفريط

ما أجمل الغيرة على الحق حينما تكون في موضعها الصحيح المنوط بها، بلا إفراط أو تفريط، والإفراط : هو مجاوزة الحد بالزيادة، والتفريط : هو التقصير في الأمر بالنقصان.

وهذا مدخل من مداخل الشيطان إلى النفس، كما قال بعض السلف: "ما أمر الله سبحانه بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إمّا إلى تفريط وتقصير، وإمّا إلى مجاوزة وغلوّ، ولا يبالى بأيهما ظفر"(١)

أولاً : الإفراط في الغيرة .

قد يبلغ المرء في الغيرة مبلغاً كبيراً، فيتجاوز الحد، وإذ به يعتدي على الحرمات، ويقتل الأنفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، وهذا ما كانت تفعله العرب في الجاهلية، فكانوا يئدون بناتهم مخافة لحوق العار بهم من أجلهن .

" فقد روي أن أول قبيلة وأدت من العرب ربيعة، وذلك أنهم أُغير عليهم، فنهبت بنت لأمير لهم، فاستردها بعد الصلح، وخيرت رضى منها بين أبيها ومن هي عنده، فاختارت من هي عنده، فغضب والدها وسن لقومه الوأد، ففعلوه غيرة منهم، وشاع الوأد في العرب بعد ذلك" (٢)

إنّ الإفراط في الغيرة يسلب عن العقل التفكير السليم، والنظر السديد، والاختيار الرشيد، ويملء القلب بالشك والريب، فعلى سبيل المثال إذا زادت الغيرة عن حد الاعتدال بين الزوجين، وأصبح الشك بينهما سائداً، أدى ذلك إلى القلق والاضطراب وكثرة المشكلات، وتخوين كل منهما للآخر، مما يهدد كيان الأسرة ويعرضها للدمار والخراب، ولذلك ورد عن جابر– رضي الله عنه – ، قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرق الرجل أهله ليلاً يتخونهم، أو يلتمس عثراتهم»(٣)

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية ١ / ١١٦، ط – مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية ، بدون .

(٢) بلوغ الأرب في أحوال العرب، محمود شكري الألوسي ٣ / ٤٣ ط – دار الكتب العلمية، ٢٠٠٩م، بدون .

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه رقم ٧١٥ – كتاب الإمارة – باب كَرَاهَةِ الطُّرُوقِ، وَهُوَ الدُّخُولُ لَيْلًا، لِمَنْ وَرَدَ مِنْ سَفَرٍ، ٣ / ١٥٢٨ .

والإفراط في الغيرة قد يؤدي إلى جنوح بعض الشباب بلا علم ولا فقه إلى الغلو، والتشدد في الدين والتنطع، وبخاصة في زمن الفتن وأوقات الأزمات، ولهذا فإن " بعض الجماعات نبتت أفكارها في السجون، ونمت أشواكها وراء القضبان، .. إن هذا الشباب مختل المزاج، فصاحب الرسالة ما خيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وهؤلاء الشبان ما خُيّروا بين أمرين إلا اختاروا أصعبهما، والإسلام يقدم الدليل، ويؤخر العنف، فما يلجأ إليه إلا كارهاً "(١)

فالغيرة المفرطة من هؤلاء الشباب ذات الحماسة الفائرة والاندفاع المتهور، والذين لم تنضج عقولهم ولم تحنكهم التجربة في الحياة، قد سلكوا أسلوب العنف والقوة غير محمودة العواقب، بل كفروا غيرهم من المسلمين، فمذهبهم " تكفير عامة المسلمين، واستحلال دمائهم وأموالهم، فلا تجوز عندهم مناكحتهم، ولا أكل ذبائحهم، ولا حضور جماعتهم في الصلاة، ويرى أصحاب هذه النّحلة أنهم وحدهم المسلمون وسائر المسلمين دونهم على الشرك، ليس مسلمو اليوم فقط كفاراً، بل كل المسلمين بعد القرن الرابع الهجري كفار، ومذهب التكفير اليوم، هو مذهب الخوارج القديم، وإن اختلف الاسم " (٢)

وماذا كانت النتيجة ؟

جروا الويلات على أنفسهم وعلى أمتهم، وأخطاؤا من حيث أرادوا الحق والصواب، وأضروا من حيث أرادوا النفع، لقد " خرجت من عباءة الصحوة الإسلامية تيارات متطرفة، تتخذ من التكفير مذهباً، ومن العنف وسيلة، وأوقعت أضراراً فادحة بالأصدقاء قبل الأعداء، فشوهت صورة الصحوة، وقدمت ذريعة مثالية لأعداء الإسلام، ليهاجموا الدين جملة وتفصيلاً، وليضربوه في الصميم "(٣)

وصدق النبي – صلى الله عليه وسلم– حيث يقول : « إنّ الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة »(٤)

---

(١) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، للشيخ محمد الغزالي ص٨٨ ، ط نهضة مصر، ط – السابعة ، ٢٠٠٥م

(٢) الغلو في الدين، د / الصادق عبد الرحمن الغرياني ص٢٣ ، ط – دار السلام ، القاهرة ، ط ١ – ٢٠٠٢م .

(٣) الإرهاب التشخيص والحلول، للشيخ عبد الله بن بيه، ص ٤٥ ط– مكتبة العبيكان بالسعودية، ط١ – ٢٠٠٧م .

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم ٣٩ – كتاب الإيمان – باب الدين يسر – ١ / ١٦

" والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فَيُغْلَبُ، قال ابن المنير : في هذا الحديث علم من أعلام النبوة فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل مُتَنَطِّعٍ في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته ،كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة"[١]

وقال صلى الله عليه وسلم : « هلك الْمُتَنَطِّعُونَ » قالها ثلاثاً [٢] ومعنى « هلك الْمُتَنَطِّعُونَ» أي: المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.[٣]

إنّ المغالاة في فعل الشيء قد تفسده، فكم من أناس انقلب حالهم من تشدد وغلو إلى تفريط واستهتار، ومن التزام وغيرة على الدين إلى تفلت وشذوذ، ذلك أن الإفراط في الغيرة على الحق لا يتلاءم مع طبيعة النفس البشرية، فالنفس ملول سرعان ما تشعر بالسآمة والضيق إذا ما أحست بالزيادة عن حد الاعتدال، وفي الوقت نفسه ينفر الآخرون من هذا الغلو والمبالغة في الغيرة ولا يقبلون ذلك .

ثانياً : التفريط في الغيرة .

على النقيض من تجاوز الحد في باب الغيرة إلى حد غير مقبول، هناك من لا يغار على عرضه إذا استبيح، ولا يغضب لمحارم الله إذا انتهكت، وهذا ليس من شيم الرجال، ولا من كريم الخصال، فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغضب إذا انتهكت محارم الله عز وجل، فعن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها– ، أنها قالت: « ما خير رسول الله (ﷺ) بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها »[٤]

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني ١ / ٩٤

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه رقم ٢٦٧٠ – كتاب العلم – باب هلك المتنطعون ٤ /٢٠٥٥

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي ١٦ / ٢٢٠

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم ٣٥٦٠ – كتاب المناقب – باب صفة النبي ﷺ ٤ / ١٨٩ .

لقد أصبح ضعف الغيرة ظاهرة عند كثير من الناس، ولضعف الغيرة صور ومظاهر متعددة، ومن أبرزها ما يلي :

١ – تبرج النساء : مما يندى له الجبين، ويحزن له القلب، ما يراه المرء ويشاهده ليل نهار من تبرج مقيت صارخ، من إظهار كثير من النسوة لمفاتنهن وزينتهن أمام الرجال الأجانب، بتلك الملابس الضيقة والشفافة، وهذا لعمري أمارة ودليل على ضعف أو موت الغيرة في قلوب كثير من الرجال.

والتبرج حرمته الشريعة الإسلامية وحذرت منه أشد تحذير، قال الله تعالى ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ..... ﴾[١]

" قال مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال، فذلك تبرج الجاهلية، وقال قتادة : ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى يقول : إذا خرجتن من بيوتكن وكانت لهن مشية وتكسر وتغنج، فنهى الله تعالى عن ذلك، وقال مقاتل بن حيان: ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى والتبرج أنها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده، فيواري قلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها، وذلك التبرج، ثم عمت نساء المؤمنين في التبرج "[٢]

وقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٣]

ومن السنة : ما ورد عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: جاءت أميمة بنت رقيقة، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبايعه على الإسلام، فقال: " أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئاً، ولا تسرقي ولا تزني، ولا تقتلي ولدك، ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك، ولا تنوحي، ولا تبرجي تبرج الجاهلية الأولى. "[٤]

---

(١) سورة الأحزاب الآية رقم ٣٣

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٦/ ٣٦٤ ، ط – دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى – ١٤١٩هـ .

(٣) سورة الأحزاب الآية رقم ٥٩

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم ٦٨٥٠ ، ١١ / ٤٣٧، ط – مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا »[١]

ومعنى قوله : كاسيات عاريات فإنه أراد اللواتي يلبسن من الثياب الشيء الخفيف الذي يصف ولا يستر فهن كاسيات بالاسم عاريات في الحقيقة [٢]

فالتبرج خطره عظيم وشره مستطير، وفيه من المفاسد والشرور ما الله به عليم، وهو انحدار أخلاقي كبير، وسلاح من أسلحة الشيطان الرجيم.

" فزينة المرأة وظهور جمالها بين الرجال غواية واغراء، وشرارة تضرم ما كمن وخمد في نفوسهم من شهوة حيوانية، كما أن رؤية الطعام وشم رائحته يوقظان الشهية، والنفس لا تشتهي إلا ما تقدمه العين لها، ولذلك أمر الله الرجال أن يغضوا من أبصارهم، وأتبعها بقوله:﴿ .... وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡ ﴾[٣] وكذلك أمر النساء بأن يغضضن من أبصارهن، وأتبعها بقوله﴿....وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ ....﴾[٤] [٥]

وعليه، فالمرأة المسلمة ينبغي عليها أن تتقي الله عز وجل في نفسها، ولا تكون عرضة للرجال تتناولها الأعين بالنظرات المحرمة، ولا مبعث إثارة للشهوات الكامنة، ووجب على وليها أن يغار على عرضه وأن يقوم بالمسئولية الملقاة على عاتقه " فما أفسد المرأة إلا فساد الرجل واستهتاره بدينه وواجب الرجولة والأبوة والزوجية، فكم من امرأة فاسدة دفعها إلى الفساد وفتح لها بابه أب أو زوج فاسد لم يعرف ربه، فعمي عن الصراط السوي وجاهر بالخروج عن

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه رقم ٢١٢٨ ، كتاب اللباس والزينة- باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات ٣ / ١٦٨٠

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر ١٣ / ٢٠٤، ط- وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ط- عام ١٣٨٧هـ، بدون .

(٣) سورة النور جزء من الآية ٣٠

(٤) سورة النور جزء من الآية ٣١

(٥) التبرج ، نعمت صدقي ص١٦ ، ط- دار الاعتصام بالقاهرة، ط- ١٩٧٥م، بدون .

الدين والأخلاق، أو أب أو زوج ضعيف الإرادة مستضعف، فقد نخوة الرجال وغيرتهم، ضعيف الإيمان متغافل عن أوامر الله، مستهين بمعصيته "[١]

عجباً لهؤلاء المتساهلين المفرطين في حماية أعراضهم، فاقدي الغيرة على نسائهم وبناتهم ممن فقدوا رجولتهم، أشباه الرجال الذين تركوا الحبل على الغارب ممن تعاموا عن أمور تخدش الشرف والكرامة، أما تعلموا الدرس من هذا الرجل الغيور على زوجه، فلقد ذكر ابن الجوزي[٢]- رحمه الله – قصة وقعت عند قاضٍ بالري سنة ست وثمانين ومائتين من الهجرة حيث: " ادعى ولي امرأة على زوجها خمسمائة دينار مهراً، فأنكر، فقال القاضي: شهودك، قال: قد أحضرتهم، فاستدعى بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة؛ ليشير إليها في شهادته، فقام الشاهد، وقال للمرأة : قومي، فقال الزوج : تفعلون ماذا؟ قال الوكيل : ينظرون إلى امرأتك وهى مسفرة-يعني: كاشفة وجهها- لتصح عندهم معرفتها، فقال الزوج: فإني أُشهد القاضي أن لها علي هذا المهر الذى تدعيه ولا تسفر عن وجهها، فأخبرت المرأة بما كان من زوجها فقالت: فإني أشهد القاضي أن قد وهبته هذا المهر وأبرأته منه في الدنيا والآخرة، فقال القاضي: يكتب هذا في مكارم الأخلاق ."[٣]

رجل غار على امرأته من نظرة شهادة، فكيف بمن يقر ويدافع عن تبرج أهل بيته، ولا يرى غضاضة في مصادقة وممازحة من يشاءون من الرجال ؟ !

٢ – عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إذا انتشرت المنكرات وفشت الرذائل، وأصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والحق باطلاً والباطل حقاً، ورضي الناس وسكتوا، فإن ذلك برهان ساطع على

---

(١) التبرج ، نعمت صدقي ص ٤٨

(٢) ابن الجوزي "٥٠٨ – ٥٩٧هـ " هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، كان علاّمة عصره وإمام وقته في الحديث وصناعة الوعظ، وله تصانيف عديدة؛ ومن أشهرها : زاد المسير في علم التفسير، والموضوعات، وصيد الخاطر، وتبليس إبليس، انظر « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان ٣ / ١٤٠ – ١٤٣ ط- دار صادر – بيروت، ط-عام ١٩٠٠م بدون »

(٣) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي ١٢ / ٤٠٣ ، ط- دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م .

ضعف الغيرة في القلوب، بل ربما موتها،" قيل لابن مسعود رضي الله عنه: "مَنْ ميّتُ الأحياء؟ فقال : الذي لا يعرف معروفاً ولا يُنكر مُنكراً "(١)

وأصدق وصف لهذا القلب ما ورد في حديث حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها، نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز، مجخياً لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه »(٢)

" وقوله : مُجخياً فهو بميم مضمومة ثم جيم مفتوحة ثم خاء معجمة مكسورة معناه: مائلاً، قال القاضي عياض : قال لي ابن سراج : ليس قوله كالكوز مجخياً تشبيهاً لما تقدم من سواده بل هو وصف آخر من أوصافه بأنه قلب ونكس حتى لا يعلق به خير ولا حكمة، ومثله بالكوز المجخي وبينه بقوله : لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً ، قال القاضي رحمه الله : شبه القلب الذي لا يعي خيراً بالكوز المنحرف الذي لا يثبت الماء فيه "(٣)

إنّ من الخطورة بمكان كثرة رؤية المنكرات والمخالفات الشرعية وعدم إنكارها على القلب، " فقد تقوم كثرة رؤية المنكرات مقام ارتكابها في سلب القلب نور التمييز والإنكار، لأن المنكرات إذا كثر على القلب ورودها وتكرر في العين شهودها ذهبت عظمتها من القلوب شيئًا فشيئًا، إلى أن يراها الإنسان فلا يخطر بباله أنها منكرات، ولا يميز بفكره أنها معاصي لما أحدث تكرارها من تأليف القلب لها "(٤)

إن مما يخشى على المرء موت قلبه، والقلب لا يموت فجأة، وإنما يمرض بكثرة رؤية المنكرات والرضا بها وعدم إنكارها، ولهذا حذر النبي صلى الله عليه

---

(١) الاستقامة، لابن تيمية ، ٢ / ٢١٢ ، ط – جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه رقم ١٤٤ – كتاب الإيمان – بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَام بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، ١ / ١٢٨

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، للإمام النووي ٢ / ١٧٣

(٤) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الجاهلين، لابن النحاس ص١٠٥ – ١٠٦ ط – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

وسلم من ذلك، فقال « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان »[١]

فإنكار المنكر بالقلب أقل درجات الإنكار، وبهذا يسلم المسلم من العقوبة، ويدل على وجود الغيرة في قلبه .

٣ – عدم الغيرة على انتهاك المقدسات

لا تقف الغيرة عند حدود العرض والشرف، بل تتخطاها لتشمل الغيرة على الدين والمقدسات والأرض والوطن .

ألا وإنّ لكل أمة مقدسات تفخر وتعتز بها، وتحميها وتدافع عنها بكل ما تملك، وأمة الإسلام أكرمها الله تعالى بكثير من المقدسات، ومن أهمها: كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن الأزمنة: شهر رمضان ويوم الجمعة وليلة القدر، ومن الأماكن : الكعبة المشرفة والمسجد النبوي والمسجد الأقصى .

ومن الغيرة على السنة النبوية، ما ورد " عن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – أنه جاء يستأذن على عمر بن الخطاب– رضي الله عنه – ، فاستأذن ثلاثاً، ثم رجع، فأرسل عمر في أثره، فقال: ما لك لم تدخل؟ فقال أبو موسى: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك فادخل، وإلا فارجع، فقال عمر: ومن يعلم ذلك؟ لئن لم تأتني بمن يعلم ذلك لأفعلن بك كذا وكذا، فخرج أبو موسى حتى جاء مجلساً في المسجد يقال له مجلس الأنصار، فقال: إني أخبرت عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك فادخل، وإلا فارجع، فقال: لئن لم تأتني بمن يعلم هذا لأفعلن بك، فإن كان سمع ذلك أحد منكم فليقم معي، فقالوا لأبي سعيد الخدري: قم معه، وكان أبو سعيد أصغرهم، فقام معه فأخبر بذلك عمر، فقال عمر لأبي موسى الأشعري : أما إني لم أتهمك، ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٢]

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه رقم ٤٩ – كتاب الإيمان – باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، ١ / ٦٩

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ رقم ٢٠٣٠ ، ٢ / ١٤٢، ط – دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، ط – ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م، بدون .

وقد زخر التاريخ الإسلامي بأناس غاروا على مقدساتهم ودينهم وبلادهم في وقت عصيب كانت تمر به الأمة الإسلامية، ومن هؤلاء سيدنا أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – في حرب الردة ،فعن أبي هريرة –رضي الله عنه – قال : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله، فمن قال : لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه وحسابه على الله "، فقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه، فقال عمر: « فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق »[١]

وكان من الغيوريين أيضاً على المقدسات الإسلامية صلاح الدين الأيوبي[٢] – رحمه الله – والذي كان يقول : " كيف يطيب لي الفرح والطعام ولذة المنام وبيت المقدس بأيدي الصليبيين؟.! [٣]

شتان شتان بين أناس يناصرون قضايا المسلمين ويتألمون لآلامهم، ويفرحون لأفراحهم، وتتقطع قلوبهم حسرة على تدنيس المقدسات، وهدم المساجد، وقتل الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ، وقصف البيوت على ساكنيها، وانتهاك الأعراض، وإهلاك الحرث والنسل، وبين أناس لا تتمعر وجوههم غضباً ولا يبالون لحال المسلمين، بل ربما يصل الأمر إلى الشماتة بالمنكوبين من المسلمين، وإلقاء اللوم عليهم .

٤ – عدم الغيرة على ضياع الوقت .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم ٧٢٨٤ – كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة – باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٩/ ٩٣

(٢) صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ – ٥٨٩هـ = ١١٣٧ – ١١٩٣م) هو يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو المظفر، الملقب بالملك الناصر: من أشهر ملوك الإسلام، وكانت مدة حكمه بمصر ٢٤ سنة، وبسورية ١٩ سنة، وللمزيد انظر « الأعلام، للزركلي ٨ / ٢٢٠ ط– دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة عشر – ٢٠٠٢م »

(٣) صلاح الدين الأيوبي بطل الشرق وأسطورة الغرب، الحسيني الحسيني معدي ص٨ ، ط– مكتبة كنوز– القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٣م .

الوقت أنفس وأثمن ما يملكه الإنسان، ولذا اهتم الإسلام بالمحافظة عليه، وحث على اغتنامه وعدم إضاعته، قال صلى الله عليه وسلم : " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ "[١]

وقال عليه الصلاة والسلام : «لا تزولُ قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»[٢]

وعمر الإنسان ما هو إلا أيام وليالي، فينبغي على المرء أن يغار على وقته ولا يضيعه بلا فائدة، يقول الحسن البصري- رحمه الله – : « أدركت أقواماً كان أحدهم أشح على عمره منه على دراهمه ودنانيره »[٣]

ويقول ابن القيم – رحمه الله – « وأعظم الإضاعات : إضاعتان وهما أصل كل إضاعة؛ إضاعة القلب، وإضاعة الوقت »[٤]

فمن أعظم صور ضعف الغيرة، إضاعة الوقت وعدم الاكتراث به، وعدم معرفة قدره وقيمته، وعدم الاستغلال الأمثل للأوقات، والانشغال بالتفاهات، واتباع هوى النفس .

وصدق من قال :

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه ... وأراه أسهل ما عليك يضيع [٥]

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم ٦٤١٢ – كتاب الرقاق – باب لا عيش إلا عيش الآخرة ٨ / ٨٨

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه رقم ٢٤١٧ – أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – باب في القيامة ٤ / ٦١٢ وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) الزهد والرقائق لابن المبارك ص ٤ ، ط – دار الكتب العلمية – بيروت، بدون .

(٤) الفوائد ص ١١٢ ، ط – دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م .

(٥) ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي ٢ / ١٦٧ مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م .

المبحث الثالث

دور الدعاة في ترشيد الغيرة

للدعاة إلى الله تعالى دور كبير وفعال في ترشيد الغيرة وضبطها واعتدالها في المجتمع، فهم مشاعل الهداية وقلب الأمة النابض، ولهم دور في توجيه الناس وتصحيح المفاهيم المغلوطة، ويتضح ذلك فيما يلي :

أولاً : ترسيخ منهج الوسطية والاعتدال .

ما أجمل الاعتدال والتوازن في الأمور كلها !، فلا إفراط ولا تفريط، وهذا هو شأن المسلم الحق، ولذا قيل في بيان أفضليّة التّوسّط والاعتدال : " كل خصلة محمودة فلها طرفان مذمومان، فإن السخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم، وتجنبه بالتعري منه والبعد عنه، فكلما ازداد منه بعداً ازداد منه تعرياً، وأبعد الجهات والمقادير والمعاني من كل طرفين وسطهما، وهو غاية البعد عنهما، فإذا كان في الوسط فقد بعد عن الأطراف المذمومة بقدر الإمكان "[١]

وقد حث الإسلام على اتباع منهج الاعتدال والتوازن في الحياة، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[٢] ،وقال الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[٣]

وقول النبي صلى الله عليه وسلم « لن يُنَجِّيَ أَحَدًا منكم عمله » قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: « ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة، سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا »[٤]

" وقوله " فسددوا أي: الزموا السداد وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط، قال أهل اللغة : السداد التوسط في العمل، قوله : وقاربوا أي إن لم تستطيعوا

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٥ / ١٨٤ ، ط- المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، بدون .

(٢) سورة الإسراء الآية رقم ٢٩

(٣) سورة الفرقان الآية رقم ٦٧

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم ٦٤٦٣ – كتاب الرقاق – باب القصد والمداومة على العمل ٨ / ٩٨

الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه ... والقصد الأخذ بالأمر الأوسط "[١] والغيرة مثلها مثل أيٍّ صفة من تلك الصفات، وهي شعور يعتري الإنسان، ولكنها قد تتحوَّل إلى شعور مؤلِم إذا تعدَّت حدَّها، فهناك مَن تكون هذه الغريزة لديه معقولة، وهناك من يجاوز الحد، فتصبح خُلقًا مذمومًا يتضرر منها الشخص نفسه ومجتمعه الذي يعيش فيه .

وأيضاً الغيرة مشاعر وأحاسيس يحس بها الإنسان السوي، والداعية الحكيم يعلم أن الدين لم يأتِ لوأدها وإنما لتهذيبها وتنميتها وتوجيهها الوجهة الصحيحة، ومن ذلك ما جاء " عن زيد بن سعنة، وكان من أحبار اليهود، أتى النبي صلى الله عليه وسلم يتقاضاه، فجبذ ثوبه عن منكبه الأيمن، ثم قال: إنكم يا بني عبد المطلب أصحاب مطل، وإني بكم لعارف، قال: فانتهره عمر– رضي الله عنه – فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يا عمر أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج، أن تأمرني بحسن القضاء، وتأمره بحسن التقاضي، انطلق يا عمر أوفه حقه، أما إنه قد بقي من أجله ثلاث فزده ثلاثين صاعاً لتزويرك عليه »[٢]

فانظر إلى غيرة سيدنا عمر – رضي الله عنه – على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبه الشديد له، وكيف هذب النبي صلى الله عليه وسلم هذه الغيرة ووجهها الوجهة السديدة الرشيدة التي لامست قلب هذا اليهودي، وهذا هو دور الداعية يسعى في تغيير مسار الغيرة إلى الخير النافع بالحكمة والموعظة الحسنة .

وفي قصة حاطب ابن أبي بلتعة – رضي الله عنه – لما أرسل إلى قريش يخبرهم بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوهم، " فقال : لا تعجل، والله ما كفرت ولا ازددت للإسلام إلا حباً، ولم يكن أحد من أصحابك إلا وله بمكة من يدفع الله به عن أهله وماله، ولم يكن لي أحد، فأحببت أن أتخذ عندهم يدا، فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم، قال عمر– رضي الله عنه –: دعني

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني ١ / ٩٥

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين رقم ٢٢٣٧ ، ٢ / ٣٧ وقال، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ط – دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م .

أضرب عنقه فإنه قد نافق، فقال: " ما يدريك، لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم "، فهذا الذي جرأه . (١)

" وإنما قال ذلك عمر– رضي الله عنه – مع تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب فيما اعتذر به لما كان عند عمر من القوة في الدين وبغض من ينسب إلى النفاق، وظن أن من خالف ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم استحق القتل، لكنه لم يجزم بذلك، فلذلك استأذن في قتله وأطلق عليه منافقاً لكونه أبطن خلاف ما أظهر، وعذر حاطب ما ذكره فإنه صنع ذلك متأولاً أن لا ضرر فيه "(٢)

إنّ الغيرة على دين الله عز وجل وشرعه تقتضي كظم الغيظ، والتدبُّر في رويَّة وهدوء، والنظر في سوابق الأعمال وتاريخ الأشخاص، ولذا غفر لسيدنا حاطب ماضيه المشرف في قتال المشركين، وقَبِلَ منه النبي صلى الله عليه وسلم عذره ، وقدَّر موقفه .

وعليه " فينبغي للإنسان أن يملك الغيرة عند ثورتها، فلا يخرج في معاملة المنتهك لحرمة الحق عن حدود العدل، فالذي يغار على أمر جعل الشارع لمنتهِكِه حدًّا مفروضًا، لا يحلُّ له أن يتجاوز ما حدَّه الشارع استرسالاً مع طغيانها، فإن كان الجزاء موكولًا لاجتهاد القاضي، اجتزأ القاضي بالمقدار الذي يكفي للردع، وليس من الغيرة المحمودة أن يتعدى في جزاء السيئة ما يكفي للزجر عن اقترافها "(٣)

وكما ينبغي للداعية الفطن أن يتعامل مع من غالى في الغيرة بالحكمة والتوجيه الحسن، كذلك ينبغي له التعامل مع من ضعفت غيرته على الحق أو فقدها، ورد في حديث أبي أمامة – رضي الله عنه – قال : إن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله،ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه، مه، فقال: " ادنه، فدنا منه قريباً " قال : فجلس قال" أتحبه لأمك؟ " قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: " ولا الناس يحبونه لأمهاتهم " قال: أفتحبه لابنتك؟ " قال: لا، والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال : " ولا الناس يحبونه لبناتهم " قال : " أفتحبه لأختك؟ " قال: لا، والله

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم ٣٠٨١ – كتاب الجهاد والسير – باب إذا اضطر الرجل إلى النظر في شعور أهل الذمة، والمؤمنات إذا عصين الله، وتجريدهن ٤ / ٧٦

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني ٨ / ٦٣٤

(٣) موسوعة الأعمال الكاملة، للإمام محمد الخضر حسين، ٥/ ١ ص١٤٧

جعلني الله فداءك، قال: " ولا الناس يحبونه لأخواتهم ". قال : " أفتحبه لعمتك ؟ " قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: " ولا الناس يحبونه لعماتهم " قال : " أفتحبه لخالتك ؟ " قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: " ولا الناس يحبونه لخالاتهم " قال : فوضع يده عليه، وقال : " اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه " قال : فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء [١]

أراد النبي صلى الله عليه وسلم إيقاظ العفة في قلب هذا الشاب الذي جاء يستأذنه في الزنا، فذكره بمحارمه؛ بنته؛ وأخته؛ وخالته؛ وعمته، ذلك أنّ أشد ما يغار الإنسان عليهم الأم ثم البنت ثم الأخت ثم العمة ثم الخالة، وهذا الإقناع العقلي الذي يوقظ أصحاب الفطرة السليمة النقية خير علاج ودواء لأمثال هؤلاء .

فعلى الداعية أن يكون وسطاً بين الإفراط والتفريط والغلو والتقصير، وليعلم أن التوسط والاعتدال هو الذي يتفق مع الفطرة الإنسانية .

ثانياً: إبراز خطورة الغيرة الشديدة المصحوبة بالتهورعلى الفرد والمجتمع.

على الداعية توضيح وتجلية خطورة الغيرة الشديدة المصحوبة بالعنف والغلظة والطيش والتهور، فالاندفاع الذي يؤدي بالدعوة إلى المخاطر فيما يتعلق بمواجهة الأعداء لم يطلبه الشرع ولم يحبذه، لقد قال أحد الصحابة وهو " عباس بن عبادة [٢]– رضي الله عنه – في بيعة العقبة الثانية للنبي صلى الله عليه وسلم : إن شئت لنميلن عليهم غداً بأسيافنا ، فقال : لم أؤمر بذلك"[٣]

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده رقم ٢٢٢١١ ، ٣٦ / ٥٤٥

(٢) هو عباس بن عبادة بن نضلة بن مالك ابن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف ابن الخزرج بن ثعلبة، الأنصاري الخزرجي، شهد بيعة العقبة، وقيل: شهد العقبتين، وقيل: بل كان في النفر الستة من الأنصار الذين لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا قبل جميع الأنصار، انظر « أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير ٣/ ١٦٢، ط– دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ط – ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م »

(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي ١ / ٢٤٩ ط– مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

" فما نراه من تعجل بعض الطيبين من الغيورين على هذا الدين في قطف ثمرة جهدهم، وتعريض أنفسهم للابتلاء، وتمنيهم لمواجهة الأعداء... وينسون أو يغفلون عن قوله صلى الله عليه وسلم « لا تمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا »[١] ، لأن المرء لا يدري ما تؤول إليه الحال عند مواجهة العدو، ومشاهدة الأهوال، وقد يتمنى العبد حالة معينة ويستعجلها بتصرفه الجاهل بعواقب الأمور "[٢]

ولنا أن نتصور تلك الحماسة الجارفة والعاطفة الجياشة لدى بعض الشباب، ذوي العلم والفقه المحدود، والذين يحاولون فرض ما يرونه حقّا على الآخرين عنوة، وربما بعملهم هذا يحققون أمنيات ومآرب أناس همهم هدم الإسلام وخراب بلاد المسلمين .

فلو أن كل من يرى منكراً أمام عينيه استخدم القوة ليوجه مقترف المنكر إلى ما يتصوره حقّاً وعدلاً، هذا مع اختلاف وجهات النظر وتباين الرؤى حيال المواقف والحكم عليها، لحدث ما لا يحمد عقباه .

يقول ابن قيم الجوزية – رحمه الله – (إن النبي – صلى الله عليه وسلم – شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله،.... وقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم على تغيير البيت ورده على قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك – مع قدرته عليه – خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر)[٣]

وعليه، فهناك ضوابط وآداب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أهمها ما يلي :

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم ٣٠٢٤ ، كتاب الجهاد والسير– باب لا تمنوا لقاء العدو ٤ / ٦٣

(٢) مجلة البيان، الصادرة عن المنتدى الإسلامي بالرياض، العدد ٩٢ ص٣٠

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية ٣ / ١٢ ، ط – دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م .

١ – العلم : ينبغي على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون على علم بالحكم الشرعي فيما يأمر به أو فيما ينهى عنه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – " ينبغي لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر أن يكون فقيهاً فيما يأمر به فقيهاً فيما ينهى عنه، رفيقاً فيما يأمر به رفيقاً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به حليماً فيما ينهى عنه "(١)

وعلى النقيض، فالجهل مصيبة المصائب، وآفة الآفات في المجتمعات، والجاهل لا يضع الأمور في محلها، وإنما يتصرف بحماقة وسرعان ما يقع في الخطأ والتردي، يقول فضيلة الشيخ/علي محفوظ (٢)– رحمه الله – " فالجاهل ضال مضل، وضره أقرب من نفعه، وما يفسده أكثر مما يصلحه، بل لا يصلح أصلاً إذ لا تمييز لجاهل بين الحق والباطل ولا معرفة عنده ترشده إلى إصلاح القلوب وتهذيب النفوس "(٣)

٢ – الرفق واللين : الرفق على وجه العموم مستحب في كل شيء، وفي الدعوة إلى الله آكد، قال تعالى ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾(٤)

قال الحافظ ابن كثير– رحمه الله – "وجادلهم بالتي هي أحسن أي : من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب "(٥)

والترفق مع الناس سبيل إلى كسب مودتهم واستجابتهم، فعن أم المؤمنين عائشة،– رضي الله عنها – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥ / ١٦٧، ط – مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ط– ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

(٢) الشيخ/علي محفوظ المصري: واعظ شافعيّ، تخرج بالأزهر، ثم كان من أعضاء كبار العلماء وأستاذاً للوعظ والإرشاد بكلية أصول الدين، وصنف كتباً، منها : سبيل الحكمة، والإبداع في مضار الابتداع، والدرة البهية « الأعلام، للزركلي ٤ / ٣٢٣ »

(٣) هداية المرشدين، للشيخ علي محفوظ ص ٨٨ ، ط– دار الاعتصام بالقاهرة، الطبعة التاسعة ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م .

(٤) سورة النحل الآية رقم ١٢٥

(٥) تفسير القرآن العظيم ٤ / ٥٢٦

عائشة » إنّ الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه "[١]

وفي الحديث أيضاً « من يحرم الرفق، يحرم الخير »[٢]

فالمدعو يمقت العنف والشدة، وينفر بطبعه من الفظاظة والخشونة، ويحب الرفق وأهله .

٣ – الصبر والحلم : على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتحلى بالصبر والحلم، لا سيما أن أهل المنكر لا يحبون من ينكر عليهم صنيعهم، وقد يصل الأمر إلى الإيذاء باللسان أو باليد، فيحتاج الداعي إلى صبر على إيذائهم وبغيهم، قال الله تعالى ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[٣]

أمّا صاحب الغيرة الشديدة فربما وصل به الأمر إلى الاعتداء على من يدعوهم إذا لم يتسلح بسلاح الصبر والحلم .

وعليه، " فلا بد من هذه الثلاثة العلم والرفق والصبر، العلم قبل الأمر والنهي والرفق معه والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة لا بد أن يكون مستصحباً في هذه الأحوال "[٤]

٤ – التحقق من وقوع المنكر وظهوره : كذلك يجب على الناهي عن المنكر أن يتحقق من وقوع ذلك المنكر وظهوره له، والمراد بالظهور " انكشافه للناهي وعلمه به بدون تجسس، وهذا يحدث عن طريق الحواس الخمسة، وعلى هذا فمن كان في بيته، وقد أغلق عليه بابه وقام بشيء من المنكر لم يجز للناهي أن يتسلق الجدار أو يكسر الباب ليطلع على ما يفعله أهل الدار، ويشترط أيضاً أن يكون المنكر قائماً في الحال، لأنه إذا وقع وانتهى فلا احتساب فيه على فاعله، وإنما لولي الأمر أن يعاقبه إذا ثبت ذلك عليه "[٥]

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه رقم ٢٥٩٣ ، كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل الرفق ٤ / ٢٠٠٣

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه رقم ٢٥٩٢ ، كتاب البر والصلة والآداب – باب فضل الرفق ٤ / ٢٠٠٣

(٣) سورة لقمان الآية رقم ١٧

(٤) الاستقامة، لابن تيمية ٢ / ٢٣٣، ط– جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

(٥) أصول الدعوة، د/ عبد الكريم زيدان ص١٨٠ – ١٨١، بتصرف يسير، ط– مؤسسة الرسالة، الرسالة، بيروت، ط٣ – ١٣٩٦هـ– ١٩٧٦م .

٥ – ألا يؤدي إنكار المنكر إلى ما هو أنكر منه : أيضاً إذا كان الأمر كذلك، فلا يجب الإنكار، بل ولا يشرع، ذلك لأن " إنكار المنكر أربع درجات : الأولى : أن يزول ويخلفه ضده، الثانية : أن يقل وإن لم يزل بجملته، الثالثة : أن يخلفه ما هو مثله، الرابعة : أن يخلفه ما هو شر منه؛ فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة "(١)

فالشخص الغيور على دينه غيرة غير منضبطة بضوابط الشرع، قد يفسد وهو يريد الإصلاح والخير بتهوره واندفاعه، ذلك لأن المنكر المقصود قد تضاعف وازداد بفعله، ولذا " لا يجوز إنكار المنكر بما هو أنكر منه؛ ... فإذا كان قوم على بدعة أو فجور، ولو نهوا عن ذلك وقع بسبب ذلك شر أعظم مما هم عليه من ذلك ولم يمكن منعهم منه ولم يحصل بالنهي مصلحة راجحة لم ينهوا عنه "(٢)

وعليه، فإذا خرج المرء على تلك الضوابط والآداب السابقة، كان ضره أكبر من نفعه، وستأتي النتائج على عكس ما يرجوه، فالغيرة الشديدة غير المنضبطة تؤثر بالسلب على صاحبها وعلى الدعوة الإسلامية، أمّا على صاحبها فيكون مكروهاً منبوذاً بين الناس، وذلك لسوء ظنه بالناس وسوء التعامل معهم وسوء العشرة، وقد تحمله الغيرة والحدة على أن يتكلم بكلام ما كان ينبغي أن يتكلم به، مما يسبب الفرقة والاختلاف والتباغض والتباعد .

وأمّا التأثير على الدعوة الإسلامية، فأصحاب الحماسة والغيرة غير المنضبطة يشوهون صورة الإسلام، ويوهمون الناس بأن الإسلام يجبر الآخرين على اعتناقه بالقوة والإكراه، فضلاً عما ينجم عن ذلك العنف من تمزيق الأمة، وصدق الشيخ / محمد الغزالي(٣) – رحمه الله – حيث يقول "

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية ٣ / ١٢

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١٤ / ٤٧٢

(٣) الشيخ محمد الغزالي السقا : " ١٩١٧م – ١٩٩٦م " ولد في قرية (نكلا العنب) من إيتاي البارود بمحافظة البحيرة بمصر، ونشأ في أسرة محافظة، ودرس بكلية أصول الدين سنة ١٩٣٧م، ومن أهم مؤلفاته : الإسلام والأوضاع الاقتصادية، الإسلام والمناهج الاشتراكية، من هنا نعلم، وغيرها الكثير (من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، عبد الله العقيل جـ٢ / صـ٩٣٣– ٩٤٧، ط– دار البشير بالقاهرة – ط٧، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م)

إن المدافعين لا ينقصهم غالباً الحماس والإخلاص وإنما ينقصهم عمق التجربة وحسن الفقه، إنهم يحسبون أن حال المسلمين اليوم وليد علل عارضة، ومن السهل إزالتها في أيام معدودات، أو على الأكثر في بضع سنين من حياتهم هم .. ثم يعود المسلمون إلى مجدهم الأول أيَّام الصحابة والتابعين، وما على الشباب إلاَّ أن يُقْدِم ويقاتل ويحطم ما أمامه من عوائق، وسوف يبتسم له النصر بعد مرحلة أو مرحلتين، وهذا الاستعجال كان وراءه متاعب كثيرة وخسائر ثقيلة للدعوة الإسلامية بل ربما زاد خصومها تمكيناً وضراوة.! "[١]

وعليه، فإن على الدعاة دور كبير في إرشاد ونصح هؤلاء الغيوريين على دينهم والمتحمسين لقضايا أمتهم، أن لا يسلكوا طريق العنف والطيش والعجلة حتى لا يضروا بدينهم وبلادهم، فمن استعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه، وإنما عليهم بذل الجهد واستفراغ الوسع بالطرق الشرعية لتحقيق مصلحة الإسلام والمسلمين .

ثالثاً : بيان الاعتبار بفقه المآلات في الدعوة .

المآلات جمع مآل، وأصل الكلمة آل الشيء يؤول أوْلًا ومآلًا، بمعنى رجع، والموئِل المرجع، وَآلَ يَؤُولُ، أي : رجع، قال يعقوب : يقال : " أَوَّلَ الْحُكْمَ إِلَى أَهْلِهِ "،"، أي : أرجعه ورده إليهم، قال الأعشى : أُوَوِّلُ الْحُكْمَ إِلَى أَهْلِهِ.[٢]

والمراد بالمآلات هنا : ما يترتب على الفعل بعد وقوعه، والمراد بفقه المآلات : ملاحظة ما يرجع إليه الفعل بعد وقوعه، وما يترتب عليه، وآثاره الناتجة منه، فيأخذ الفعل بهذا النظر حكمًا يتفق مع ما يرجع إليه ويؤول إليه ذلك الفعل، سواء قصده الفاعل أم لا.[٣]

الأدلة الشرعية على اعتبار المآلات :

لقد تضافرت الأدلة على مشروعية هذا الفقه، لذا سنذكر بعضاً من النصوص القرآنية والنبوية التي تبين هذه المشروعية.

---

(١) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، للشيخ / محمد الغزالي ص٦ ط- دار نهضة مصر، الطبعة الأولي، ١٩٨٢م

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للحموي ١ / ٢٩، ط- المكتبة العلمية – بيروت ، بدون، معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ١/ ١٥٩

(٣) أصول الفقه، للشيخ / محمد أبو زهرة ص٢٨٨ ط – دار الفكر العربي، ط – ١٩٥٨م، بدون، الموافقات، للشاطبي ٥/ ١٧٧

أولاً : القرآن الكريم :- وردت آيات ترشد وتدل على هذه المشروعية، منها ما يلي:-

١ – قول الله تعالى-: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾(١)

يقول ابن كثير – رحمه الله – " يقول الله تعالى ناهياً لرسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن سب آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين، وهو الله لا إله إلا هو "(٢)

ويعلق الإمام القرطبي على هذه الآية بقوله: " إن المحق قد يكف عن حق له، إذا أدى إلى ضرر يكون في الدين "(٣)

وعليه، فالآية قد منعت سب آلهة المشركين، وهى مصلحة بلا شك، لكن مفسدة سب الله عز وجل وسب الإسلام أعظم من سب آلهة المشركين .

٢ – وقال الله عز وجل ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴾(٤)

يقول الإمام القرطبي – رحمه الله – " وكان يأخذ كل سفينة جيدة غصباً فلذلك عابها الخضر وخرقها، ففي هذا من الفقه العمل بالمصالح إذا تحقق وجهها، وجواز إصلاح كل المال بإفساد بعضه "(٥)

إذاً الرجل الصالح أراد أن يدرأ هذا الفساد بفساد أعظم منه، وفي هذا دليل على مشروعية الموازنة بين الفاسد والأفسد، ودرء الأفسد بارتكاب الفاسد .

٣ – وقال الله تعالى﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ ... ﴾(٦)

---

(١) سورة الأنعام الآية رقم ١٠٨
(٢) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٢٨٢
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٦١
(٤) سورة الكهف الآية ٧٩
(٥) الجامع لأحكام القرآن ١١ / ٣٦
(٦) سورة البقرة الآية رقم ٢١٧

" وهذه الآية رد على المشركين حين أعظموا على النبي – صلى الله عليه وسلم – القتال والحماية في الشهر الحرام؛ فقال الله تعالى: {وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة} وهي الكفر في الشهر الحرام أشد من القتل؛ فإذا فعلتم ذلك كله في الشهر الحرام تعين قتالكم فيه "(١)

ثانياً : السنة النبوية :

هناك أدلة كثيرة من السنة النبوية تدل على فقه المآلات، ومنها ما يلي :

١ – عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما– ، قال : كنا في غزاة – قال سفيان : مرة في جيش – فكسع رجل من المهاجرين، رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « ما بال دعوى الجاهلية » قالوا : يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: «دعوها فإنها منتنة» فسمع بذلك عبد الله بن أبي، فقال: فعلوها، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقام عمر فقال : يا رسول الله : دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه »(٢)

قال الإمام النووي– رحمه الله تعالى – " وفيه ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الحلم، وفيه ترك بعض الأمور المختارة والصبر على بعض المفاسد خوفاً من أن تترتب على ذلك مفسدة أعظم منه "(٣)

إنّ الناظر إلى هذه الواقعة يرى اعتبار مآلات الأمور، وذلك فيما لو قتله النبي صلى الله عليه وسلم فسيترتب على ذلك تشويه صورة الإسلام في نفوس الراغبين في الدخول فيه، وإتاحة الفرصة للمغرضين المتربصين بالدعوة، فهذا رأس النفاق يستحق القتل كما رأى سيدنا عمر – رضي الله عنه

(١) أحكام القرآن، لابن العربي ١/ ٢٠٧، ط– دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم ٤٩٠٥ –كتاب تفسير القرآن – باب قوله: {سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم، لن يغفر الله لهم، إن الله لا يهدي القوم الفاسقين} [سورة المنافقون الآية رقم ٦] ٦ / ١٥٤

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١٦ / ١٣٨ – ١٣٩

– ولكن هناك مفسدة أكبر سوف تترتب على قتله وهي تنفير الناس عن الدين، فكان هناك اعتبار لما سيئول إليه قتله .

وعليه، فغيرة سيدنا عمر – رضي الله عنه – على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبته الشديدة له، جعلته يريد قتل رأس النفاق في المدينة، فإذا بالنبي – صلى الله عليه وسلم– يلفت نظره إلى مآلات فعله في المستقبل على الدعوة والمسلمين داخلياً وخارجياً، فما كان من سيدنا عمر إلا أن سلم ورضي، ولذا " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب، حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر، أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله، لأرعدت له آنف، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته، قال : قال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمري "[١]

٢ – وعن عائشة –رضي الله عنها – : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : « يا عائشة، لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين، باباً شرقياً، وباباً غربياً، فبلغت به أساس إبراهيم »[٢]

يعلق الإمام النووي على هذا الحديث بقوله : " وفيه دليل لقواعد من الأحكام منها : إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدئ بالأهم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم صلى الله عليه وسلم مصلحة، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريباً، وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة فيرون تغييرها عظيماً فتركها صلى الله عليه وسلم "[٣]

لقد غار النبي – صلى الله عليه وسلم – على بيت الله الحرام، وأراد أن يرد الكعبة إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم– عليه السلام– لكنه صلى الله عليه وسلم يعلمنا النظر إلى مآلات الأمور وهي خوف فتنة وارتداد بعض من أسلم قريبًا، وخوف نفور الناس من الإسلام، حينئذ تركها على ما هي عليه .

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام ٢ / ٢٩٣

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم ١٥٨٦، كتاب الحَجِّ – باب فضل مكة وبنيانها، ٢ / ١٤٧

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي ٩ / ٨٩

٣ – عن أبي وائل، قال : قام سهل بن حنيف– رضي الله عنه – يوم صفين، فقال: أيها الناس، اتهموا أنفسكم، لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا، وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين، فجاء عمر بن الخطاب، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال : « بلى »، قال : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال : « بلى »، قال : ففيم نعطي الدنية في ديننا، ونرجع، ولما يحكم الله بيننا وبينهم، فقال: « يا ابن الخطاب، إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً »، قال: فانطلق عمر فلم يصبر متغيظاً، فأتى أبا بكر، فقال : يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى، قال : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال : بلى، قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب، إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً، قال : فنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح، فأرسل إلى عمر، فأقرأه إياه، فقال: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: « نعم »، فطابت نفسه ورجع "[١]

" قال العلماء لم يكن سؤال عمر –رضي الله عنه – وكلامه المذكور شكاً بل طلباً لكشف ما خفي عليه وحثاً على إذلال الكفار وظهور الإسلام كما عرف من خلقه –رضي الله عنه – وقوته في نصرة الدين وإذلال المبطلين "[٢]

أحياناً الإنسان الغيور على دينه ودعوته ينظر إلى الأمور على ظاهرها ويتألم ألماً شديداً، ويحزن لما يراه من واقع مُرٍ أليم، ولا ينظر إليها من بواطنها وما قد يحدث في مستقبل الأيام، ولهذا، فإن " حقيقة الأمر أن الفتح – في اللغة – فتح المغلق، والصلح الذي حصل مع المشركين بالحديبية كان مسدوداً مغلقاً حتى فتحه الله، وكان من أسباب فتحه صد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت، وكان في الصورة الظاهرة ضيماً وهضماً للمسلمين، وفي الباطن عزاً وفتحاً ونصراً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى ما وراءه من الفتح العظيم والعز والنصر من وراء ستر رقيق، وكان يعطي المشركين كل ما سألوه من الشروط التي لم يحتملها أكثر أصحابه

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه رقم ١٧٨٥ ، كتاب الجهاد والسير– باب صلح الحديبية في الحديبية ٣ / ١٤١١

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي ١٢ / ١٤١

ورؤوسهم، وهو صلى الله عليه وسلم يعلم ما في ضمن هذا المكروه من محبوب {وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم}[١][٢]

فالداعية دوره عظيم في ترشيد الغيرة على الدين والحماسة له، وذلك ببيان مآلات الأفعال، وفقه المصالح والمفاسد، " فالشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإلا فمن لم يوازن ما في الفعل والترك من المصلحة الشرعية والمفسدة الشرعية فقد يدع واجبات ويفعل محرمات، ويرى ذلك من الورع كمن يدع الجهاد مع الأمراء الظلمة ويرى ذلك ورعاً، ويدع الجمعة والجماعة خلف الأئمة الذين فيهم بدعة أو فجور ويرى ذلك من الورع، ويمتنع عن قبول شهادة الصادق وأخذ علم العالم لما في صاحبه من بدعة خفية "[٣]

فعلى المرء الغيور ألا يتسرع في حكمه أو قوله أو فعله، بل يتريث ويوازن بين رد فعله وما سيؤول إليه هذا الفعل من نفع أو ضر، سواء عليه أم على دينه ودعوته ومجتمعه، ولذا فإن" الدعاة مهما كانت جرأتهم في الحق، وقدرتهم على المواجهة، وصبرهم على الأذى، وصمودهم في ميدان الدعوة؛ فإن ذلك لا يسد مسد الفقه في الدعوة والعلم بدقائقها وطرق تبليغها، ولئن كانت هذه الأمور ضرورية للدعاة؛ فإن الفقه في الدعوة من أهم الضروريات.

إن فهم الداعية لحقيقة دعوته هو الذي يمكنه من تبليغها، ويجعله قادراً على رد الشبهات عنها، وتفنيد افتراءات المبطلين الذين لا يكفون عن إثارة الشبهات، وإشعال الفتن، وإلصاق التهم، وتجريح الأبرياء، وليكن معلوماً لدى الدعاة إلى الله أن الحماس للحق لا يغني غناء الفقه، وأن الجرأة في التبليغ لا تسد مسد الفهم، وأن الصبر على الأذى لا يقوم مقام العلم، ولهذا وجدنا الدعاة في ميدان الدعوة يواجهون أعداءهم بالحجج التي تدحض باطلهم، والأدلة التي تدعم دعوتهم، في مواجهة خصومهم "[٤]

مما سبق يتبين أن الغيرة الشديدة والعاطفة الجياشة دون فهم عميق راسخ للواقع ومستجدات الأحداث ومآلات الأمور، قد أحدثت مفاسد وفوتت

---

(١) سورة البقرة جزء من الآية ٢١٦

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية ٣ / ٢٧٥

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١٠ / ٥١٢

(٤) مدرسة الدعوة، د / محمد السيد الوكيل ١/ ٢٢٦ ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، طبعة السنة الثانية عشرة العدد (٤٧-٤٨) ١٤٠٠هـ .

مصالح كثيرة للشخص نفسه، وأضرت بمسيرة الدعوة أيما ضرر، وشوهت صورة الإسلام عند الآخرين .

رابعاً : تعريف المدعوين بسنن الله عز وجل في طبيعة التدرج وطبيعة الصراع بين الحق والباطل .

لله عز وجل سنن لا تتبدل ولا تتغير ولا تحابي فرداً على حساب فرد، ولا مجتمعاً على حساب مجتمع آخر، قال تعالى ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾(١) وقال الله تعالى﴿ .....فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾(٢)

ومن هذه السنن الربانية : سنة التدافع بين الحق والباطل، فما دام هناك حق وباطل فالصراع موجود والمدافعة حتمية، قال تعالى ﴿ .....وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٣) وقال الله تعالى ﴿ .....وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾(٤)

فسنة الصراع بين البشر، قديمة منذ أن خلق الله البشر، وممتدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، حتى قال ابن خلدون – رحمه الله – : " اعلم أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله ، ...وهذا أمر طبيعي في البشر لا تخلو عنه أمة ولا جيل"(٥)

ومع هذا التدافع بين الحق والباطل إلا أن الغلبة والنصر للحق وأهله، قال تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ

(١) سورة الأحزاب الآية رقم ٦٢
(٢) سورة فاطر الآية رقم ٤٣
(٣) سورة البقرة جزء من الآية رقم ٢٥١
(٤) سورة الحج الآية ٤٠
(٥) مقدمة ابن خلدون، ص٣٣٤، ط– دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[١] " أي ومن عادة الله إبطال الباطل وتقرير الحق "[٢]

وقال الله عز وجل ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[٣] " أي كتب القوي العزيز أنه الغالب لأعدائه، وهذا قدر محكم وأمر مبرم أن العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة "[٤]

وقال تعالى ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾[٥]

" قال السدي : لم يبعث الله عز وجل رسولاً قط إلى قوم فيقتلونه، أو قوماً من المؤمنين يدعون إلى الحق فيقتلون، فيذهب ذلك القرن حتى يبعث الله تبارك وتعالى لهم من ينصرهم، فيطلب بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا، قال فكانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون فيها "[٦]

ومع أن الغلبة في ذلك الصراع للحق، والنتيجة محسومة إلا أن كثيرين يستعجلون النصر نتيجة الحماس الزائد، والعاطفة الجياشة غير الراشدة، فالبعض يريد تغيير الواقع في أقل من طرفة عين، دون نظر في العواقب، ودون فهم للظروف والملابسات المحيطة بهذا الواقع، بحيث يغمض الناس عيونهم ثم يفتحونها، أو ينامون ليلة ثم يستيقظون، فإذا بهم يرون كل شيء عاد إلى وضعه الطبيعي، ولهذا أرشد النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة الكرام إلى عدم الاستعجال في استبطاء النصر، " فعن خباب بن الأرت،- رضي الله عنه- قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: « كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا

---

(١) سورة الشورى الآية ٢٤
(٢) مفاتيح الغيب، للرازي ٢٧ / ٥٩٦
(٣) سورة المجادلة الآية ٢١
(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٨ / ٨٣
(٥) سورة غافر الآية ٥١
(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٧ / ١٣٧

الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون »[١]

فالنبي صلى الله عليه وسلم يربي الصحابة الأجلاء والأمة من بعدهم على الصبر والثبات وعدم الاستعجال، وعلى التأسي بالسابقين من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم، الذين تحملوا الأذى في سبيل الله، فالابتلاء والمحن، سنة من سنن الله في خَلقه، فعن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال : « الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة »[٢]

وعليه، فلا ينبغي استعجال النتائج، فالمتعجل لم يفهم السنن الكونية الفهم الحقيقي، ولهذا نجد من الخطورة بمكان غياب فقه السنن الإلهية عن بعض أصحاب الدعوات، يقول فضيلة الشيخ / محمد الغزالي – رحمه الله – " قضية التوازن الاجتماعي عند كثير من العاملين في حقل الدعوة، وهو يتعامل مع المجتمع الذي قد ينطوي على أخطاء وانحرافات – وذلك بأن يتخذ مواقف متباينة، لا تقوم على فقه صحيح لسنن الله الكونية – في نضج الحقيقة واستوائها في المجتمع، ولا تعتمد على أساليب مدروسة للدعوة الإسلامية.. وتتخذ هذه المواقف : إمّا صورة الرفض الكامل للمجتمع وتأثيمه والخروج عليه لتغييره – رغبة في تحقيق نتائج عاجلة – أو صورة الانسحاب من المجتمع والهروب منه واعتزاله، بسبب إحباطات عدم الحصول على هذه النتائج العاجلة "[٣]

ثم يذكر – رحمه الله – شواهد لهذه القضية من التاريخ الإسلامي، فيقول " وهذه القضية في مجال الفكر والعمل الإسلامي بالذات لها سوابق في التاريخ، فقديماً .. وجدوا أخطاء من الحكم أو من الحكام، فكان موقفهم متبايناً.. فوجدنا مثلاً الخوارج يفزعون إلى سيوفهم، ويطمئنون إلى عقائدهم،

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم ٣٦١٢ ، كتاب المناقب – باب علامات النبوة في الإسلام، ٤ / ٢٠١

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه رقم ٢٣٩٨، ٤ / ٦٠١ وقال « هذا حديث حسن صحيح ».

(٣) مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، للشيخ محمد الغزالي ص١١٧، ط – نهضة مصر ، ط٧ – ٢٠٠٥م .

ويرون أن حبهم للتضحية؛ ووعد الله لهم بالنصر؛ يتيح لهم أن يخرجوا؛ وأن يقاتلوا وأن يحدثوا فتوقاً في الدولة لا آخر لها .. والنوع الثاني : كان يتمثل في عدد من المتصوفين الذين اعتزلوا المجتمع وأخطاءه والحكم ومآربه وشهواته، ... والحقيقة التي أراها أن كلا الفريقين مخطئ ... فلله سنن كونية في نضج الحقيقة واستوائها في المجتمع، مهما كانت عقائدنا ومهما كانت حرارة الإيمان في قلوبنا، ومهما كانت ضراعتنا له أن ينصرنا "[١]

إنّ استعجال الأمور لا يوصل صاحبه إلى مراده، وقديماً قيل : من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه، " وقد تكون الغفلة عن سنة الله مع العصاة والمكذبين هي السبب في الاستعجال، ذلك أن من سنة الله مع العصاة والمكذبين، الإمهال، وعدم الاستعجال، قال الله تعالى ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾[٢]، وقال تعالى﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾[٣] ومن سننه كذلك معهم : أنه إذا أخذهم لم يفلتهم، قال الله تعالى﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[٤]، وقال تعالى ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾[٥] وإذا غفل العامل أو الداعية عن هذه السنن استعجل قائلاً : نناجزهم قبل أن يستفحل شأنهم، وقبل أن يمسكوا بزمام الأمور، فتستحيل إزاحتهم بعد ذلك من طريق الناس "[٦]

---

(١) المرجع السابق ص١١٧باختصار .
(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٣وسورة القلم الآية ٤٥
(٣) سورة الكهف الآية ٥٨
(٤) سورة هود ١٠٢
(٥) سورة الأنفال الآية ٥٩
(٦) آفات على الطريق، للدكتور السيد محمد نوح ١ / ٥٣ ، ط – دار الوفاء بالمنصورة، ط١، ٢٠١٢م .

وعليه، فينبغي معرفة أن الطريق ذو الألف من الأميال يبدأ بخطوة، فلا مجال للاستعجال ولا للمصادمة، فالأمور إن لم تكن موزونة بميزان الشرع كان ضررها على صاحبها أكثر من نفعها، لذا كان مثل هذا التوجيه، قال تعالى ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ (١)

فالغيرة على الحق تقتضي الصبر والأناة وعدم العجلة، ومعرفة سنة التدرج في الصراع بين الحق والباطل، " قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه : يا أبت، مالك لا تنفذ الأمور؟ فو الله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق! قال له عمر : لا تعجل يا بنيّ؛ فإنّ الله ذمّ الخمر في القرآن مرتين وحرّمها في الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعونه جملة ويكون من ذلك فتنة "(٢)

وفي رواية " أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل على أبيه، فقال: يا أمير المؤمنين، ما أنت قائل لربك غدًا إذا سألك فقال : رأيت بدعة فلم تمتها، أو سنة فلم تحيها؟ فقال أبوه: رحمك الله وجزاك من ولد خيرًا يا بني : إنّ قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة، وعروة عروة، ومتى أردت مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم لم آمن أن يفتقوا عليّ فتقًا يكثر فيه الدماء، والله لزوال الدنيا أهون عليّ من أن يراق في سببي محجمة من دم، أو ما ترضى ألا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيي فيه سنة؟ "(٣)

فهذا الشاب الغيور على الحق يطلب من أبيه، وقد وَلاَّه الله الإمارة، أن يقضي على مظاهر الفساد وآثاره دفعة واحدة، دون تريُّث ولا أناة، ولكن الأب الحكيم أراد أن يُعالِج الأمور بحكمة وتدرُّج وروية، ذلك أن طبائع الناس لا تقبل مثل هذا التغيير بين عشية وضحاها، فيستحيل أن يتركوا ما ألفوه فجأة .

وعليه، يتبين أن لله في الأفراد سنن، وفي الأمم سنن، لا تحيد ولا تميل، ولا تحابي ولا تجامل وصدق الشيخ / محمد الغزالي – رحمه الله – حيث قال :

---

(١) سورة الروم الآية ٦٠

(٢) العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي، ٥ / ١٨٥ ، ط- دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ .

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني ٥ / ٢٨٢ ، تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي ص١٨٠، ط – مكتبة نزار بمكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .

" إن انتصار الحق أمر لا بد منه، وغلبة أهله على غيرهم في نهاية المطاف قانون لازم دائم، وقد تسبق ذلك مراحل طويلة، ولكن هذه المراحل ليست تسويفاً لنتيجة ينبغي حلول أوانها، بل هي – في الأغلب – فترة من الزمن يكتمل فيها معنى الحق في نفوس حملته، ويمتزج بحياتهم الباطنة والظاهرة على سواء "[١]

ومن ثم، فإن معرفة هذه السنن الربانية تهدأ من روع الغيور وتجعله واثقاً من نصر الله تعالى، فلا يتعجل ولا يستبطأ النصر والغلبة على عدوه، ولا يصطدم بل يتريث ويأخذ بفقه التدرج في رحلة الصراع بين الحق والباطل .

خامساً : تأصيل الإخلاص واتباع الشرع .

الإخلاص هو روح الدين، وأساس كل عمل، فعملٌ بلا إخلاص لا أجر له،" قال سهل بن عبدالله : الإخلاص أن يكون سكونُ العبد وحركاته لله،... وقال أبو عثمان : الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق فقط، وقال الجنيد : الإخلاص تصفية العمل من الكدورات "[٢]

وقد أمر الله عز وجل عباده بالإخلاص فقال تعالى ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ...﴾[٣] وقال تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[٤]

وكان ابن قيم الجوزية– رحمه الله – يقول : " العمل بغير إخلاص ولا اقتداء، كالمسافر يملأ جرابه رملًا يُثقله ولا ينفعه"[٥] ثم يتحدث عن الطريق إلي الإخلاص، فيقول " : تجريد متابعة رسوله صلى الله عليه وسلم ظاهرًا وباطنًا، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى ما سوى الله ورسوله"[٦]

وعليه، فمقصد العبد من عمله وجه الله لا يريد رياء ولا سمعة، والإخلاص يتطلب الاتباع والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان ذلك مخالفاً

---

(١) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، للشيخ / محمد الغزالي ص٧٠ ، ط– نهضة مصر، ط٦ ، ٢٠٠٥م .

(٢) إحياء علوم الدين، للغزالي ٤ / ٣٨١

(٣) سورة البينة الآية رقم ٥

(٤) سورة الزمر الآية رقم ٢

(٥) الفوائد، لابن القيم ص٤٩ ، ط– دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م

(٦) المرجع السابق ص ١٠٧

لهوى النفس، " فعن ابن عمر– رضي الله عنهما – قال : كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد، فقيل لها: لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟ قالت : وما يمنعه أن ينهاني؟ قال : يمنعه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله »[١] وفي رواية الإمام مسلم « لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا اسْتَأْذَنَّكُمْ إليها » قال : فقال بلال بن عبد الله : والله لنمنعهن، قال : فأقبل عليه عبد الله : فسبه سَبًّا سَيِّئًا ما سمعته سبه مثله قط وقال : " أخبرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول : والله لنمنعهن "[٢]

" وكأنه – بلال بن عبد الله بن عمر – قال ذلك لما رأى من فساد بعض النساء في ذلك الوقت، وحملته على ذلك الغيرة، وإنما أنكر عليه ابن عمر– رضي الله عنه – لتصريحه بمخالفة الحديث وإلا فلو قال مثلاً إن الزمان قد تغير وإن بعضهن ربما ظهر منه قصد المسجد وإضمار غيره لكان يظهر أن لا ينكر عليه "[٣]

فعلى الرغم أن بلالاً قال ذلك من غير قصد منه أن يعترض على المشرع، وكان ذلك غيرة منه على النساء، إلا أن اتباع الشرع أوجب وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم ألزم .

وعليه، فالمسلم يعظم أوامر الشرع الحنيف ويسمع ويطيع ما يأمره به ربه ورسوله صلى الله عليه وسلم مخالفاً هوى نفسه، "فعن معقل بن يسار، أنه زوج أخته رجلاً من المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت عنده ما كانت، ثم طلقها تطليقة لم يراجعها حتى انقضت العدة، فهويها وهويته، ثم خطبها مع الخطاب، فقال له : « يا لكع أكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها، والله لا ترجع إليك أبداً آخر ما عليك »، قال: « فعلم الله حاجته إليها، وحاجتها إلى بعلها»، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم ٩٠٠ ،كتاب الجمعة – باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم؟ ٢ / ٦

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه رقم ٤٤٢ ،كتاب الصلاة – باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة، وأنها لا تخرج مطيبة، ١/ ٣٢٧

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني ٢ / ٣٤٩

أَجَلَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣١]- إلى قوله - ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] فلما سمعها معقل قال: « سمعاً لربي وطاعة»، ثم دعاه فقال: « أزوجك وأكرمك »[١]

هكذا طاعة وخضوع وامتثال وإذعان لأمر الله تعالى، ولنا أن نتأمل هذا الحديث، عن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى خاتماً من ذهب في يد رجل، فنزعه فطرحه، وقال: « يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده»، فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم : خذ خاتمك انتفع به، قال : لا والله، لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم » [2]

" وفيه المبالغة في امتثال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتناب نهيه، وعدم الترخص فيه بالتأويلات الضعيفة، ثم إن هذا الرجل إنما ترك الخاتم على سبيل الإباحة لمن أراد أخذه من الفقراء وغيرهم، وحينئذ يجوز أخذه لمن شاء فإذا أخذه جاز تصرفه فيه، ولو كان صاحبه أخذه لم يحرم عليه الأخذ والتصرف فيه بالبيع وغيره؛ ولكن تورع عن أخذه وأراد الصدقة به على من يحتاج إليه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينهه عن التصرف فيه بكل وجه، وإنما نهاه عن لبسه وبقي ما سواه من تصرفه على الإباحة "[٣]

وعن عمران بن حصين – رضي الله عنه – يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الحياء لا يأتي إلا بخير»، فقال بشير بن كعب : إنه مكتوب في الحكمة : أن منه وقاراً، ومنه سكينة، فقال عمران: أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحدثني عن صحفك »[٤]

وغضب عمران من بشير- رضي الله عنهما – لمقابلته الحديث بالحكمة، ولوضعه ما في الكتب الأخرى في صف واحد مع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخاف أن يتطرق الشك في الحديث لمن في قلبه ريب

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه رقم ٢٩٨١ ، ٥ / ٢١٦ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه رقم ٢٠٩٠ ،كتاب اللباس والزينة – باب طرح خاتم الذهب ٣ / ١٦٥٥
(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي ١٤ / ٦٥ – ٦٦
(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه رقم ٣٧ ،كتاب الإيمان – باب شعب الإيمان ١ / ٦٤

ونفاق إذا سمع بهذه الحكمة، وأراد أن يصون السنة عن أن يذكر معها غيرها[١]

وعن عبد الله بن مغفل : أنه رأى رجلاً يخذف، فقال له : لا تخذف، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الخذف، أو كان يكره الخذف وقال: « إنه لا يصاد به صيد ولا ينكى به عدو، ولكنها قد تكسر السن، وتفقأ العين » ثم رآه بعد ذلك يخذف، فقال له : أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه نهى عن الخذف أو كره الخذف، وأنت تخذف لا أكلمك كذا وكذا [٢]

هكذا تكون الغيرة على الحق، استجابة وتنفيذاً للشرع الحكيم، ولم يكن تنفيذ الأوامر عند الصحابة – رضوان الله عليهم – خاصاً بالرجال فقط، فعن عائشة –رضي الله عنها – قالت :

" يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله : ﴿...وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ...﴾[٣] شققن مروطهن فاختمرن بها "[٤]

هذا والمواقف كثيرة في هذا الشأن، وكلها تدل دلالة قاطعة على استجابة الصحابة واتباعهم للشرع في المنشَط والمكرَه، والعُسر واليُسر، دون تباطؤ ودون تململ، وهذا علاج فعال للغيرة الشديدة وحظوظ النفس البشرية .

---

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، للأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين ١ / ١٣٩– ١٤٠، ط– دار الشروق، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم ٥٤٧٩ ،كتاب الذبائح والصيد – باب الخذف والبندقة ٧/ ٨٦

(٣) سورة النور جزء من الآية ٣١

(٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه رقم ٤٧٥٨ ، كتاب تفسير القرآن – باب {وليضربن بخمرهن على جيوبهن} [النور: ٣١] ٦ / ١٠٩

الخاتمة

بعد حمد الله تعالى وتوفيقه ومدده، أختم بحثي هذا بما توصلت إليه من نتائج وتوصيات تبرز أهم معالم البحث، وهي كما يلي :

أولاً : أهم النتائج .

١ – عرف العرب قبل الإسلام صفة الغيرة، وكان من كمال الرجولة وتمام المروءة الحفاظ على أعراض الآخرين، وجاء الإسلام فأقرَّها وهذبها وضبطها ووجهها الوجهة الصحيحة .

٢ – فضل وأهمية الغيرة في الإسلام وأنها لا تحمي الفرد وحده، بل تتعداه لتشمل المجتمع بأسره؛ فتذود عن حياضه وقضاياه.

٣ – أن الغيرة تحرك الشعور والوجدان إلى مناصرة الحق ومؤازرته والدفاع عنه، مهما تكلف المرء من ثمن ووقت وجهد، وتدفع إلى حفظ الدين والذب عنه، وتحمي الأعراض والحُرمات وتقف في وجه انتشار الرذائل والمحرمات .

٤ – الغيرة المحمودة لا تقتصر على حماية الأعراض بل تشمل الغيرة على حقوق الله تعالى وانتهاك حدوده وحقوق النفس والآخرين .

٥ – الغيرة المذمومة المصحوبة بإساءة الظن وتقصي العيوب تؤدي إلى نتائج لا تحمد عقباها .

٦ – الغيرة المحمودة ما كان باعثها ومستندها أدلة واضحة وبراهين قاطعة، وليست ظنون ولا شكوك ولا أوهام تخالف الحقيقة .

٧– الإفراط في الغيرة يسلب عن العقل التفكير السليم، والنظر السديد، والاختيار الرشيد، ويملء القلب بالشك والريب .

٨ – الإفراط في الغيرة على الحق لا يتلاءم مع طبيعة النفس البشرية، فالنفس ملول سرعان ما تشعر بالسآمة والضيق إذا ما أحست بالزيادة عن حد الاعتدال، وفي الوقت نفسه ينفر الآخرون من هذا الغلو والمبالغة في الغيرة ولا يقبلون ذلك .

٩ – أصحاب الحماسة والغيرة غير المنضبطة يشوهون صورة الإسلام، ويوهمون الناس بأن الإسلام يجبر الآخرين على اعتناقه بالقوة والإكراه، فضلاً عما ينجم عن ذلك العنف من تمزيق الأمة .

١٠ – الغيرة الشديدة والعاطفة الجياشة دون فهم عميق راسخ للواقع ومستجدات الأحداث ومآلات الأمور، قد أحدثت مفاسد وفوتت مصالح كثيرة .

١١- معرفة السنن الربانية في طبيعة الصراع بين الحق والباطل تهدأ من روع الغيور وتجعله واثقاً من نصر الله تعالى، فلا يتعجل ولا يستبطأ النصر والغلبة على عدوه، ولا يصطدم بل يتريث ويأخذ بفقه التدرج في رحلة الصراع بين الحق والباطل .

١٢ – الإخلاص واتباع الشرع في المنشَط والمكرَه، والعُسر واليُسر علاج فعال للغيرة الشديدة وحظوظ النفس البشرية .

ثانياً : أهم التوصيات والمقترحات .

١ – ضرورة قيام الدعاة والوعاظ بدورهم في إرشاد ونصح هؤلاء الغيوريين على دينهم والمتحمسين لقضايا أمتهم، أن لا يسلكوا طريق العنف والطيش والعجلة حتى لا يضروا بدينهم وبلادهم .

٢ – أوصي كل غيور على الحق بالصبر والأناة وعدم العجلة، ومعرفة سنة التدرج في الصراع بين الحق والباطل .

٣ – اقترح على الآباء والمعلمين بتربية النشء على الغيرة على الحق من غير إفراط ولا تفريط .

٤ – قيام المسئولين على أجهزة الإعلام بدورهم في الحفاظ على الدين والقيم والمقدسات.

٥ – ضرورة عقد المؤتمرات والندوات واللقاءات العلمية بين المتخصصين من علماء الدعوة والاجتماع وعلم النفس وغيرهم للبحث عن حلول للموضوعات المشتركة فيما بينهم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة العربيّة:

القرآن الكريم جل من أنزله

١- الأحاديث المختارة، ضياء الدين المقدسي، ط - دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

٢- أحكام القرآن، لابن العربي، ط- دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

٣- إحياء علوم الدين، للإمام الغزالي ط - دار المعرفة – بيروت ط – ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، بدون .

٤- الأخلاق والسير في مداواة النفوس، لابن حزم الأندلسي ، ط - دار الآفاق الجديدة – بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٥- الإرهاب التشخيص والحلول، للشيخ عبد الله بن بيه ، ط- مكتبة العبيكان بالسعودية، ط١ – ٢٠٠٧م .

٦- الاستقامة، لابن تيمية، ط - جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

٧- أصول الدعوة، د/ عبد الكريم زيدان، ط- مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣ – ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م .

٨- أصول الفقه، للشيخ / محمد أبو زهرة ط – دار الفكر العربي، ط – ١٩٥٨م، بدون،

٩- الموافقات، للشاطبي ط- دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

١٠- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن قيم الجوزية، ط - مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية ، بدون .

١١- آفات على الطريق، للدكتور السيد محمد نوح، ط – دار الوفاء بالمنصورة، ط١، ٢٠١٢م .

١٢- بلوغ الأرب في أحوال العرب، محمود شكري الألوسي ط - دار الكتب العلمية، بيروت، ط- ٢٠٠٩م، بدون.

١٣- تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي ط - مكتبة نزار بمكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .

١٤- التبرج، نعمت صدقي ، ط- دار الاعتصام بالقاهرة، ط- ١٩٧٥م، بدون .

١٥- تُحفة العروس أو الزواج الإسلامي السعيد، محمود مهدي الاستانبولي ، ط- المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤ – ١٩٨١م .

١٦- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ط - دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى - ١٤١٩هـ.

١٧- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، ط- وزارة

عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ط- عام ١٣٨٧هـ، بدون .
١٨- تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الجاهلين، لابن النحاس، ط – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
١٩- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ط- دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .
٢٠- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن قيم الجوزية ط- دار المعرفة – المغرب الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، ط- دار السعادة – مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، بدون .
٢٢- الذريعة إلى مكارم الشريعة، للأصفهاني، ط – دار السلام – القاهرة، ط- ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
٢٣- ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، ط- مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م .
٢٤- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن قيم الجوزية ، ط- دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط- ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، بدون .
٢٥- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية ، ط- مؤسسة الرسالة، بيروت – الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م .
٢٦- الزهد والرقائق، لابن المبارك ، ط – دار الكتب العلمية – بيروت، بدون.
٢٧- سنن ابن ماجه، ط- دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٢٨- سنن الترمذي، ط- شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
٢٩- سير أعلام النبلاء، للذهبي، ط- مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
٣٠- السيرة النبوية، لابن هشام، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
٣١- شعب الإيمان، للبيهقي، ط- مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٣٢- صحيح الإمام البخاري، ط- دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .
٣٣- صحيح الإمام مسلم، ط- دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون .
٣٤- صلاح الدين الأيوبي بطل الشرق وأسطورة الغرب، الحسيني الحسيني معدي ، ط- مكتبة كنوز- القاهرة ، ط١، ٢٠١٣م .
٣٥- العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي، ط- دار الكتب العلمية – بيروت،

الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ .
٣٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، ط- دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون .
٣٧- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ،شمس الدين السفاريني ، ط – مؤسسة قرطبة – مصر ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
٣٨- الغلو في الدين، د / الصادق عبد الرحمن الغرياني، ط – دار السلام، القاهرة ، ط١ – ٢٠٠٢م .
٣٩- الغيرة على الحقائق والمصالح، للشيخ / محمد الخضر حسين، مجلة نور الإسلام الصادرة عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف – المجلد الأول – العدد السابع – رجب سنة ١٣٤٩هـ .
٤٠- الاستقامة، لابن تيمية، ط- جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ .
٤١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، ط – دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، بدون .
٤٢- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، للأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، ط- دار الشروق، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .
٤٣- الفوائد، لابن قيم الجوزية، ط – دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م .
٤٤- كتاب التعريفات، للجرجاني، ط- دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م .
٤٥- الكليات، الكفوي ط- مؤسسة الرسالة – بيروت، بدون .
٤٦- لسان العرب، لابن منظور، ط- دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة – ١٤١٤هـ .
٤٧- مجلة البيان، الصادرة عن المنتدى الإسلامي بالرياض، العدد ٩٢ .
٤٨- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية ، ط – دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م .
٤٩- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ط- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ط- ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .
٥٠- مختار الصحاح، للرازي، ط – المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
٥١- المدخل إلى علم الدعوة، للبيانوني، ط- مؤسسة الرسالة، بيروت، ط- الثالثة ،٢٠١٤م .
٥٢- المدخل إلى نظرية الالتزام في الفقه الإسلامي، مصطفى أحمد الزرقا، ط – دار القلم، دمشق – ط ١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
٥٣- مدرسة الدعوة، د / محمد السيد الوكيل، ط – مجلة الجامعة الإسلامية

بالمدينة المنورة، الطبعة السنة الثانية عشرة العدد (٤٧-٤٨) ١٤٠٠هـ .
٥٤- المستدرك على الصحيحين الحاكم، ط - دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م .
٥٥- مسند الإمام أحمد، ط - مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
٥٦- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، للشيخ / محمد الغزالي ط- دار نهضة مصر، الطبعة الأولي، ١٩٨٢م .
٥٧- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للحموي ط- المكتبة العلمية - بيروت ، بدون .
٥٨- مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، للشيخ / محمد الغزالي ، ط- نهضة مصر، ط٦ ، ٢٠٠٥م .
٥٩- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ط- دار الفكر، ط عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، بدون .
٦٠- مفاتيح الغيب، للرازي ط- دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠هـ .
٦١- مقدمة ابن خلدون، ط- دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
٦٢- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لابن الجوزي، ط- دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
٦٣- موسوعة الأعمال الكاملة، للإمام محمد الخضر حسين، ط- دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .
٦٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ط- المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، بدون .
٦٥- هداية المرشدين، للشيخ علي محفوظ، ط- دار الاعتصام بالقاهرة، الطبعة التاسعة ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م .

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة الإنجليزيّة اللاتينيّة:

thabt almasadir walmarajie biallughat al'injlyzyt allatynyt:

alquran alkarim jala man 'anzalah

1- al'ahadith almukhtarati, dia' aldiyn almaqdisi, t - dar khadir liltibaeat walnashr waltawzie, bayrut - lubnan, altabeat althaalithata, 1420h - 2000m .

2- 'ahkam alqurani, liabn alearabii, ta- dar alkutub aleilmiati, bayrut - lubnan, altabeat althaalithati, 1424h - 2003m

3- 'iihya' eulum aldiyn, lil'iimam alghazalii t - dar almaerifat - bayrut t - 1402h - 1982m, bidun .

4- al'akhlaq walsayr fi mudawaat alnufus, liabn hazm al'andalusi , t - dar alafaq aljadidat - bayrut altabeat althaaniatu, 1399h - 1979m .

5- al'iirhab altashkhis walhululi, lilshaykh eabd allah bn bih , ta- maktabat aleabikan bialsueudiati, ta1 - 2007m .

6- alaistiqamati, liaibn taymiati, t - jamieat al'iimam muhamad bin sueud - almadinat almunawarati, altabeat al'uwlaa, 1403h.

7- 'usul aldaewati, du/ eabd alkarim zidan, ta- muasasat alrisalati, bayrut, ta3 - 1396h- 1976m .

8- 'usul alfiqah, lilshaykh / muhamad 'abu zahrat t - dar alfikr alearabii, t - 1958m, bidun,

9- almuafaqati, lilshaatibii ta- dar abn eafan, altabeat al'uwlaa 1417hi/ 1997m .

10- 'iighathat allahfan min masayid alshaytan, liabn qiam aljawziati, t - maktabat almaearifi, alriyadi, almamlakat alearabiat alsueudiat , bidun .

11- afat ealaa altariqi, lilduktur alsayid muhamad nuha, t - dar alwafa' bialmansurati, ta1, 2012m .

12- blugh al'arb fi 'ahwal alearbi, mahmud shukri al'alusii t - dar alkutub aleilmiati, bayrut, ta- 2009m, bidun.

13- tarikh alkhulafa'i, jalal aldiyn alsuyutiu t - maktabat nizar bimakat almukaramata, altabeat al'uwlaa 1425h-2004m .

14- altabarju, naemt sidqi , ta- dar aliaetisam bialqahirati, ta- 1975m, bidun .

15- tuhft alearus 'aw alzawaj al'iislamiu alsaeida, mahmud mahdi alastanbuli , ta- almaktab al'iislamii, bayrut, ta4 - 1981m .

16- tafsir alquran aleazimi, liabn kathirin, t - dar alkutub aleilmiat - bayruta, altabeat al'uwlaa - 1419hi.

17- altamhid lima fi almuataa min almaeani wal'asanidu, liaibn eabd albar, ta- wizarat eumum al'awqaf walshuwuwn al'iislamiat - almaghribi, ta- eam 1387hi, bidun .

18- tanbih alghafilin ean 'aemal aljahilin watahdhir alsaalikin min 'afeal aljahilina, liabn alnahasi, t - dar alkutub aleilmiati, bayrut - lubnan , altabeat al'uwlaa, 1407h - 1987m .

19- aljamie li'ahkam alqurani, lilqurtubii, ta- dar alkutub almisriat - alqahiratu, altabeat althaaniatu, 1384h - 1964m .
20- aljawab alkafi liman sa'al ean aldawa' alshaafi, liabn qiam aljawziat ta- dar almaerifat - almaghrib altabeat al'uwlaa, 1418h - 1997m ,
21- haliyat al'awlia' watabaqat al'asfia'i, li'abi naeim al'asbhani, ta- dar alsaeadat - masr, 1394hi - 1974m, bidun .
22- aldharieat 'iilaa makarim alsharieati, lil'asfahani, t - dar alsalam - alqahiratu, ta- 1428h - 2007m .
23- dhayl tabaqat alhanabilati, liabn rajab alhanbali, ta- maktabat aleabikan - alrayad, altabeat al'uwlaa, 1425h - 2005m .
24- ruwdat almuhibiyn wanuzhat almushtaqina, liabn qiam aljawziat , ta- dar alkutub aleilmiati, bayrut, lubnan, ta- 1403h/1983m, bidun .
25- zad almuead fi hady khayr aleabadi, liaibn qiam aljawziat , ta- muasasat alrisalati, bayrut - altabeat alsaabieat waleishruna, 1415h /1994m .
26- alzuhd walraqayiqi, liabn almubarak , t - dar alkutub aleilmiat - bayrut, bidun.
27- sunan abn majah, ta- dar alrisalat alealamiati, altabeat al'uwlaa, 1430hi - 2009m
28- sunin altirmidhi, ta- sharikat maktabat wamatbaeat mustafaa albabi alhalabii - misr altabeat althaaniatu, 1395h - 1975m
29- sir 'aelam alnubala'i, lildhahabii, ta- muasasat alrisalati, altabeat althaalithati, 1405hi / 1985m
30- alsiyrat alnabawiati, liabn hishami, sharikat maktabat wamatbaeat mustafaa albabi alhalabii wa'awladuh bimasri, altabeat althaaniati, 1375h - 1955m.
31- shaeb al'iimani, lilbihaqi, ta- maktabat alrushd lilnashr waltawzie bialriyadi, altabeat al'uwlaa, 1423h - 2003m.
32- shih al'iimam albukhariu, ta- dar tawq alnajati, bayrut, lubnan, altabeat al'uwlaa, 1422h .
33- shih al'iimam muslama, ta- dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut, bidun .
34- slah aldiyn al'ayuwbii batal alsharq wa'usturat algharbi, alhusaynii alhusaynii mueadi , ta- maktabat knuzi- alqahirat , ta1, 2013m
35- aleaqd alfridi, liabn eabd rabih al'andalsi, ta- dar alkutub aleilmiat - bayrut, altabeat al'uwlaa, 1404h .
36- eumdat alqariyi sharh sahih albukhari, badr aldiyn aleayni, ta- dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut, bidun .
37- ghidha' al'albab fi sharh manzumat aladab ,shams aldiyn alsifarinii , t - muasasat qurtubat - misr , altabeat althaaniat , 1414h / 1993m.
38- alghulw fi aldiyn, d / alsaadiq eabd alrahman alghiryani, t - dar alsalami, alqahirat , ta1 - 2002m .

39- alghirat ealaa alhaqayiq walmasalihi, lilshaykh / muhamad alkhadar husayn, majalat nur al'iislam alsaadirat ean majamae albuhuth al'iislamiat bial'azhar alsharif - almujalad al'awal - aleadad alsaabie - rajab sanat 1349h .
40- alaistiqamati, liaibn taymiati, ta- jamieat al'iimam muhamad bin sueud - almadinat almunawarati, altabeat al'uwlaa, 1403h .
41- fath albari sharh sahih albukhari, liabn hajar aleasqalani, t - dar almaerifat - bayrut, 1379h, bidun .
42- fath almuneim sharh sahih muslimin, lil'ustadh alduktur musaa shahin lashin, ta- dar alshuruqi, altabeat al'uwlaa 1423h - 2002m .
43- alfawayidi, liabn qiam aljawziati, t - dar alkutub aleilmiat - bayruta, altabeat althaaniati, 1393h - 1973m
44- ktab altaerifati, liljirjani, ta- dar alkutub aleilmiati, bayrut - lubnan, altabeat al'uwlaa, 1403h -1983m ..
45- alkilyati, alkafawii ta- muasasat alrisalat - bayrut, bidun .
46- lisan alearibi, liabn manzuri, ta- dar sadir - bayruta, altabeat althaalithat - 1414h .
47- majalat albayan, alsaadirat ean almuntadaa al'iislamii bialriyadi, aleadad 92 .
48- 'iielam almuqiein ean rabi alealamina, liabn qiam aljawziat , t - dar alkutub aleilmiat -biruta, altabeat al'uwlaa, 1411h - 1991m .
49- majmue alfatawaa, liabn taymiati, ta- majmae almalik fahd litibaeat almushaf alsharifi, almadinat alnabawiati, ta- 1416h/1995m .
50- mukhtar alsahahi, lilraazi, t - almaktabat aleasriat - aldaar alnamudhajiatu, bayruta, altabeat alkhamisati, 1420h / 1999m .
51- almadkhal 'iilaa eilam aldaewati, lilbianuni, ta- muasasat alrisalati, bayrut, ta- althaalithat ,2014m
52- almadkhal 'iilaa nazariat alialtizam fi alfiqh al'iislamii, mustafaa 'ahmad alzarqa, t - dar alqalami, dimashq - t 1, 1420h - 1999m.
53- madrasat aldaewati, d / muhamad alsayid alwakil, t - majalat aljamieat al'iislamiat bialmadinat almunawarati, altabeat alsanat althaaniat eashrat aleadad (47-48) 1400h
54- almustadrak ealaa alsahihayn alhakimi, t - dar alkutub aleilmiat - bayruta, altabeat al'uwlaa, 1411h - 1990m .
55- msnid al'iimam 'ahmadu, t - muasasat alrisalati, bayruta, altabeat al'uwlaa, 1421h - 2001m .
56- mushkilat fi tariq alhayat al'iislamiati, lilshaykh / muhamad alghazalii ta- dar nahdat masir, altabeat al'awli, 1982m .
57- almisbah almunir fi gharayb alsharh alkabiri, lilhamawi ta- almaktabat aleilmiat - bayrut , bidun

58- mae allah dirasat fi aldaewat waldueati, lilshaykh / muhamad alghazalii , ta- nahdat masr, ta6 , 2005m .
59- muejam maqayis allughati, liabn faris, ta- dar alfikri, t eam 1399hi - 1979m, bidun .
60- mfatih alghib, lilraazi ta- dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut, altabeat althaalithat - 1420h .
61- muqadimat abn khaldun, ta- dar alfikri, bayruta, altabeat althaaniati, 1408h - 1988m
62- almuntazim fi tarikh al'umam walmuluki, liabn aljuzi, ta- dar alkutub aleilmiati, bayruta, altabeat al'uwlaa, 1412h - 1992m .
63- musueat al'aemal alkamilati, lil'iimam muhamad alkhadar husayn, ta- dar alnawadr, suria, altabeat al'uwlaa, 1431h - 2010m .
64- alnihayat fi gharayb alhadith wal'athra, liabn al'athir, ta- almaktabat aleilmiat - bayrut, 1399h - 1979m, bidun .
65- hidayat almurshidina, lilshaykh eali mahfuza, ta- dar aliaetisam bialqahirati, altabeat altaasieat 1399h- 1979m .